# معالمُ الخطابِ الأخلاقيّ بين مدرسة الحِلَّة والمدارس الأخرى

أ.د. رحيم كريم عليّ الشَّريفيّ
جامعة بابل/كليَّة العلوم الاسلاميَّة
م.م. قاسم عليوي الخفاجيّ

# *Features of Ethical Discourse: A Comparative Study between the Al-Hilla School and Other Schools*

*Prof. Dr. Rahim Karim Ali Al-Sharifi*
*University of Babylon/College of Islamic Sciences*
*Asst. Lect. Qasim Aliwi Al-Khafaji*

## الملخَّص

ممَّا لا ريب فيه أنَّ التراث الأخلاقيّ الإسلاميّ هو تراث زاخرٌ؛ لأنَّه بُني على ثوابت إسلاميَّة راسخة، كتبت له الانطلاق إلى الإمام، وقد خلَّف لنا هذا التراث اتِّجاهات ومدارسَ أخلاقيَّةً.

ثمَّةَ اتِّجاهاتٌ مختلفةٌ في علمِ الأخلاق لدى المسلمين، وطبيعيّ أن يؤدِّي هذا الاختلاف في الاتِّجاهات إلى ظهور أنظمة أخلاقيَّة عدَّة.

من هنا فإنَّنا سنحاولُ أن نقفَ على المرامي المهمَّة لهذه المدارس، فضلًا عن ذلك الاهتمام بدراسة مناهج البحث، والمعطيات العلميَّة للعلماء، وإظهار نقاط القوَّة والضعف منها، زد على ذلك التركيز على نقاط القوَّة، والآثار، والآراء.

وفي هذا البحث سيكون حديثنا عن أهمِّ المعالم التي اتَّسم بها الخطاب الأخلاقيّ عند علماء الحِلَّة، مقارنةً بمعالم المدارس الأخلاقيَّة الفلسفيَّة، والمدارس الأخلاقيَّة العرفانيَّة.

وهذه المعالم تمثِّل أهمَّ المظاهر والأبعاد للخطاب الأخلاقيّ عند علماء مدرسة الحِلَّة، واقتضت طبيعة البحث أن يكون منهج التأليف هو المبحث الأوَّل في هذا البحث، من جهة التقسيمات والتفصيلات والغاية من الخطاب، وما إلى ذلك.

في حين سيكون المبحث الثاني مخصَّصًا للوقوف على أهمِّ معالم الخطاب الأخلاقيّ عند علماء الحِلَّة مقارنةً بمعالم الخطاب الأخلاقيّ والمدارس الأخرى من

جهة تناول الموضوع، وشرحه، وتحشيد النصوص القرآنيَّة والحديثيَّة على الخطاب الأخلاقيّ، فضلًا عن ذلك سهولة الأسلوب، والابتعاد عن المعطيات الفلسفيَّة والمنطقيَّة.

**الكلمات المفتاحيَّة:** الخطاب الأخلاقيّ، مدرسة الحِلَّة، الدراسة المقارنة، الخطاب.

## Abstract

Undoubtedly, the Islamic ethical heritage is a rich and prolific tradition, built upon steadfast Islamic principles that have propelled it forward. This heritage has bestowed upon us various ethical schools and orientations. Naturally, the diversity of perspectives in Islamic ethics has led to the emergence of multiple ethical systems. Accordingly, this research attempts to identify the primary objectives of these schools, while examining their research methodologies and scholarly contributions, highlighting their strengths and weaknesses, and focusing on their lasting impacts and views.

This study explores the most prominent features of the ethical discourse among the scholars of Al-Hilla, comparing them with the characteristics of philosophical and gnostic (Irfani) ethical schools. These features represent the most significant dimensions of the ethical discourse within the Al-Hilla school. The first section of this chapter is dedicated to the methodology of authorship, including classifications, details, and the ultimate

purpose of the discourse.

The second section focuses on the defining landmarks of the Al-Hilla scholars' ethical discourse in comparison to other schools. It examines their approach to subject matter, their mobilization of Quranic and Hadith texts to support ethical arguments, and their use of an accessible style that avoids complex philosophical and logical complexities.

**Keywords:** Ethical discourse, Hilla school, comparative study, discourse.

## المقدِّمة

الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمينَ، الذي دَلَّت شواهدُهُ ونَعْمَاؤه على عظمتِهِ وعِزَّتِهِ، وصلَّى اللهُ على الشاهدِ والمبشِّرِ والنذيرِ محمَّدٍ الخيرِ والبركةِ، وعلى آلهِ شواهدِ الرَّشادِ وأدِلَّةِ الخيرِ والفلاحِ.

ويبدو أنَّ عدم الاكتراثِ بدراسة علم الأخلاق، وقلَّة الاهتمام به، أدَّى إلى تخلُّف علميّ واضح في هذا الحقل المعرفيّ، فالتعاليمُ الأخلاقيَّةُ تَشْغِلُ مكانةً كبيرةً من النصوصِ الدينيَّةِ والكتبِ السماويَّةِ، وقدِ اشتملَ القرآنُ الكريمُ على العديد من الخطاباتِ التي تَحثُّ البشرَيَّةَ على الالتزامِ بالأخلاقِ الحميدةِ، وتهذيبِ النفسِ، والأخذِ بالقيمِ الإنسانيَّةِ العليا.

وهذه الخطاباتُ الأخلاقيَّةُ تمثِّل منظومةً كبيرةً في المنظورِ الإسلاميِّ، بوصفها أحدَ أهمِّ مقاصدِهِ وأهدافِهِ.

والحقيقةُ الساطعةُ هي أنَّ حظَّ التراثِ الإسلاميِّ من البحوثِ النظريَّةِ الأخلاقيَّةِ في مجالِ الأخلاقِ الإسلاميَّةِ أقلُّ كثيرًا ممَّا وَصَلَ إلينَا في مجال الفِقْه، والتفسيرِ، والحديثِ، والكلامِ، وحتَّى الفلسفةِ، ممَّا يتطلَّبُ منَّا في أيِّ وقتٍ الوقوفُ على الشواهدِ القرآنيَّةِ في هذا الخطابِ الأخلاقيِّ الذي يتعطَّشُ له العالمُ المعاصِرُ؛ لذلك جاءت الرغبةُ سانحةً سامحةً من أجل دراسةِ الشاهدِ القُرْآنيِّ في الخطابِ الأخلاقيِّ عند علماءِ الحِلَّةِ، الذين يُعدُّون من الروَّاد في تأليف هذا الحقل المعرفيّ، إذ كان لمدرسةِ الحِلَّةِ العلميَّةِ الأثرُ البالغُ في تطوُّرِ الدراساتِ العلميَّةِ، كالفقهِ والأصولِ والحديثِ والأخلاقِ وغيرِها.

إنَّ هذا الاصطفاءَ للقرآنِ يجعلُ الباحثَ يَنْهَلُ من مصادرَ ومراجعَ كثيرةٍ تُعِيْنُه على الوقوفِ على الخطاباتِ الأخلاقيَّةِ عند علماءِ الحِلَّةِ وغيرِهم من علماءِ الأمصارِ الأخرى، وقد كان لعلماءِ الحِلَّةِ الأخلاقيِّين الأساسُ في هذه الدراسةِ.

وتُعـدُّ الكتبُ الأخلاقيَّةُ الحِلِّيَّةُ البدايـات الأولى لهذا الحقلِ المعرفيِّ المثمرِ، من نَحْوِ كتـابِ (تنبيه الخواطر ونُزهَة النواظر) للشـيخ ورَّامٍ الحِلِّيّ (ت٦٠٥هـ)، وكُتُبِ السـيِّد رضيّ الديـن عليّ بن طاوس الحِلِّيّ (ت٦٦٤هـ) الأخلاقيَّة، منها (كشـف المحجَّة لثمرة المهجة)، و(محاسبة الملائكة الكرام آخر كلِّ يوم من الذنوب والآثام أو محاسبة النفس)، وغَيْرِهـا، ووصيَّة العلَّامة الحِلِّيّ (ت٧٢٦هـ) لولدِه محمَّـد فخرِ المحقِّقين (ت٧٧١هـ)، وكتاب (عُدَّة الداعي ونجاح السـاعي) للشيخ ابن فَهْدٍ الحِلِّيّ (ت٨٤١هـ)، وغَيْرِها من الكتب الأخلاقيَّة.

ولا يفوُتَنا أَنْ نذكرَ ما تركه لنا العلماءُ في هذا الحقلِ المعرفيّ في المدارس الأخرى من كُتُبٍ أخلاقيَّةٍ، من نَحْوِ كِتَاب (تهذيبِ الأخلاق) لابن مسـكويه (ت٤٢١هـ)، وكتابِ (إحيـاء علوم الديـن) للغـزَّاليّ (ت٥٠٥هـ)، وكتـابِ (الفتوحات المكِّيَّـة) لابن عربيّ (ت٦٣٨هـ) وغيرِها، وكلَّما كانت مصادرُ البحـثِ ومراجُعها مصطفاةً ومنتقاةً، ولها علاقة بالجنبة الأخلاقيَّة، كانت أكثرَ مَيْدانًا للباحث.

لا يخفى أنَّ الجهودَ التي بُحثتْ في الأخلاقِ ومباحثِها ظلَّت مبعثرةً في بطون الكتب التـي لم تقتـصر على معالجةِ الأخلاقِ، بل غَلَبَت عليهـا آراءُ آخرى في الفقه، والشريعةِ، وعلـومِ الديـن، واللغةِ، بمعنـى أنَّ هـذه الكتبَ كانت تعتمـدُ على الآراء الشـخصيَّة فحسب.

بـدا لنا أن يكـون البحث بعنـوان (معالم الخطـابِ الأخلاقـيِّ بَيْن مدرسـةِ الحِلَّةِ والمدارسِ الأخرى)، وجاء في مبحثَين:

**الأوَّلِ**: منهج المدوَّنات الأخلاقيَّة في مدرسةِ الحِلَّةِ مقارنةً بمنهجِ المدرسةِ الفلسفيَّةِ والمدرسةِ العرفانيَّة.

**والثاني**: معالمُ الخطابِ الأخلاقيِّ بَيْن مدرسةِ الحِلَّةِ والمدرسةِ الفلسفيَّةِ والمدرسةِ العرفانيَّةِ.

ثُمَّ خَتَمْتُ البحث بخاتمةٍ استجليْتُ فيها أهمَّ النتائجِ التي توصلَّتُ إليها، ثمَّ أتبعتُها بقائمةِ المصادرِ والمراجعِ.

## المبحث الأوَّل

### منهج المدوَّنات الأخلاقيَّة في مدرسة الحِلَّة مقارنةً بمنهج المدرسة الفلسفيَّة والعرفانيَّة

في هـذا المبحث سـنتناول منهجيَّة الكتـب الأخلاقيَّة الحِلِّيَّة، مقارنـةً بأهمِّ الكتب التي تحصَّلت من المدرسَـتَين الفلسـفيَّة والعرفانيَّة، ويبقى المعـوَّلُ على هذا المبحث على مـا اختطَّـه علماءُ الحِلَّة من مدونات أخلاقيَّة، ولاسـيما الشـيخ ورَّام الحِلِّيّ (ت٦٠٥هـ) في مدوَّناتـه (تنبيـه الخواطـر ونزهـة النواظـر)، وكذلك السـيِّد عليّ بن طـاوس الحِلِّيّ (ت٦٦٤هـ) في كتابـه (كشـف المحجَّـة لثمـرة المهجـة)، وكتـاب العلَّامـة الحِـلِّيّ (ت٧٢٣هـ) في وصيَّتـه، فضلًا عـن كتاب (عدَّة الداعي) للشـيخ أحمد بـن فهد الحِلِّيّ (ت٨٤٢هـ).

وقد قسَّـمنا هـذا المبحث بحسـب المـادَّة العلميَّة، والنظـر في الكتـب الأخلاقيَّة الحِلِّيَّـة، والكتـب الأخلاقيَّة في المدرسَـتَين الفلسـفيَّة والعرفانيَّـة، إلى مطلَبَين مهمَّين، هما:

**الأوَّل**: البنـاء الهيـكليّ للكتب الأخلاقيَّـة عند علماء الحِلَّـة مقارنةً بالبنـاء الهيكليّ للكتب الأخلاقيَّة الفلسفيَّة والعرفانيَّة.

**الثاني**: المفاهيم والمصطلحات الأخلاقيَّة.

## المطلب الأوَّل: البناء الهيكليّ للكتب الأخلاقيَّة عند علماء الحِلَّة مقارنةً بالبناء الهيكليّ للكتب الأخلاقيَّة الفلسفيَّة والعرفانيَّة

مـن أجـل عقد مقارنـةٍ موضوعيَّةٍ للوقوف عـلى البناء الهيكليّ للكتـب الأخلاقيَّة الحِلِّيَّـة مقارنةً بالكتب الأخلاقيَّة في المدرَسَـتين الأخلاقيَّتَين الفلسـفيَّة والعرفانيَّة، كان لزامًـا أن نقـف على هيكليَّة البناء الفنِّيّ، ومنهجيَّة ثلاثة كتب أخلاقيَّة مهمَّةٍ في مدرسـة الحِلَّة الأخلاقيَّة متمثِّلة بكتاب (تنبيه الخواطر ونزهة النواظر) للشيخ ورَّام بن أبي فراس (ت٦٠٥هـ)، و(كشف المحجَّة لثمرة المهجة) للسيِّد عليّ بن طاوس الحِلِّيّ (ت٦٦٤هـ)، و(عدَّة الداعي ونجاح الساعي) للشيخ أحمد بن فهد الحِلِّيّ(ت٨٤١هـ).

### أوَّلًا: تنبيه الخواطر ونزهة النواظر

ولا بُـدَّ من القول: إنَّ المدرسـةَ الأخلاقيّةَ الحِلِّيَّةَ تنضـوي ضمن المنهج الأخلاقيّ الأثـريّ، وهو ما يمثِّله الشـيخ ورَّام الحِـلِّيّ، وابن طاوس الحِلِّيّ، والعلَّامـة الحِلِّيّ، وابن فهـدٍ الحِلِّيّ، إذ ترتبط بدائـرة الموضوعات والعنوانات الأخلاقيَّـة، فضلًا عن المضامين والمفاهيـم الاجتماعيَّـة والتربويَّـة والأخلاقيَّـة المرتبطة بالفـرد والمجتمع، التـي تتعلَّق بالمضامـين والمفاهيـم الاجتماعيَّة والتربويَّـة والأخلاقيَّة الإسـلاميَّة الخالصة المتحصِّلة مـن القرآن الكريم، والسـنَّة النبويَّـة المطهَّرة، وأفعـال الصحابة المخلصـين وأقوالهم، مـن هنا فإنَّ هذه المدرسـة قد وظَّفت النصـوص القرآنيَّة المتَّصلـة بالأخلاق، والمتَّصلة بالتعايش السِّـلميّ، وغرس المفاهيـم والمضامين التربويَّـة والاجتماعيَّة، خير توظيف، عـلاوةً على تلكمُ المفاهيم والمضامين في السـنَّة النبويَّة المطهَّـرة، وما صدر من الصحابة والأوليـاء مـن أفعال أخلاقيَّـة وتربويَّـة عظيمة المضمـون، عالية الجوهـر، فضلًا عن أقوالهم.

وهـذه مدرسـة الأخلاق الأثريَّة أو النظـام الأخلاقيّ المبتني عـلى تعاليم الوحي، لا يمكـن تصوُّرهـا إلَّا أن يُصار إلى اسـتخراج الأسـس والغايـات والقواعـد العامَّة للأخلاق، وتحريرها، وتحديدها من المصادر الرئيسة للدين، الآيات والروايات؛ ليُصار إلى رفـع التعـارض، بالرجوع إلى تلك الأسـس والقواعد، والتحكُّم إليها على أسـاس المنهج السـائد في البحـوث النقليَّة، وفي هـذا المجال، لا بدَّ من تجديد آليـة مهمَّتها حلُّ مـوارد التزاحـم، وتقييم القضايا الأخلاقيَّة والبتِّ بها، وممَّا لا شـكَّ فيـه، أنَّ أكثر هذه الكتب الموجودة لا تتَّسـم بهذه المواصفات، ولا تعدو أن تكون بمستوى محالة تصنيف حديثـيّ، وخبر شـاهد على مـا ندَّعيه وجـود روايات متكـرِّرة، وأخـرى متعارضة أو متداخلة تحت عنوان واحد، ولم يكلِّف مؤلِّفو هذه الكتب أنفسهم مشقَّة حلِّ التعارض، وترجيـح أحـد الطرفـين، أو لملمة البحـث والخروج بحصيلـة نهائيَّـة وموقف أخير، في مـا يتعلَّـق بالروايات العامَّـة والخاصَّة، والمطلقـة والمقيَّدة، والمجملـة والمبيِّنة، وغير ذلك[1].

ويجدر القول: إنَّ هذه الوضعيَّة تكشـف عن حقيقة مفادها أنَّ مؤلِّفي هذه الكتب كانوا بصدد تأليف كتب روائيَّة، وليس تأليف كتب أخلاقيَّة، فقد عنوا بالظاهر والقلب أكثر من بيان المحتوى والمضمون، وممَّا يؤيِّد قولنا، الالتفات إلى أجواء صدور الروايات، فأغلبها مقتطع من كلمات الأئمَّة المعصومين، قالوها في خطبة أو ردًّا على أسئلة[2].

فـإنَّ هذه الروايات التي جُمعت طـوال أكثر من ٢٥٠ عامًا، وهـي المرحلة الزمنيَّة التي عاشـها أئمَّتنا المعصومون عليهم السلام، جاءت في ظلِّ ظروفٍ مختلفة، ومرجعيَّات تاريخيَّة وثقافيـة خاصَّـة، وتنطلـق من معالجـات ميدانيَّة لأزمـات وأخطار محليَّـة عالقة بتلك

(١) ينظر: المدارس الأخلاقيَّة في الفكر الإسلاميّ: ٧٧.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٧٨.

المرحلة، وأنَّ مخاطبي هذه الروايات يختلفون من حيث مستوى الوعي والإدراك، وتبعًا لذلك جاءت مضامين الأحاديث مختلفة من حيث العمق والدقَّة، بعضٌ منها موجَّهة إلى الناس العاديِّين، وبعضٌ آخر إلى الخواصِّ، وثمَّةَ أحاديث للنُّخب من الخواصِّ، هذه الأحاديث بهذه المستويات المختلفة، جُمعت في كتب الحديث في مكان واحد، وضمن موضوع واحد، أضف إلى ذلك أنَّ رواج بعض الانحرافات في مقاطع تاريخيَّة وجغرافيَّة خاصَّة، أدَّى إلى أن تواجه بعض المواضيع أسئلة واستفسارات كثيرة، تسبِّب في تضخُّم هذه المواضيع، وازدياد فروعها، خلافًا لما هو متوقَّع بالنسبة إلى ذهنيَّة الإنسان المعاصر، وفي المقابل، فإنَّ جملة من الموضوعات، على الرغم من أهميَّتها، والتأثير الكبير الذي تتركه، تبقى مغمورة لم تستوفِ حقَّها من البحث والاهتمام، من هنا نخلص إلى القول: بأنَّ تحديد أهميَّة الموضوع على أساس كثرة الأحاديث، أمر غير ممكن، وعليه فإنَّ استكشاف النظام الأخلاقيّ الإسلاميّ من خلال التراث الروائيّ، يستلزم دراسةً فنيَّةً، وبحثًا جامعًا[1].

ومن هنا فإنَّنا نستطيع أن نبيِّن جملة من الخصائص التي تمتاز بها مصادر الأخلاق الأثريَّة، التي تملك هيكليَّة من الناحية الكميَّة، يمكن القول: إنَّ المصادر المعنيَّة بهذا الاتِّجاه، هي أكثر من الكتب والمصادر المعنيَّة بسائر الاتِّجاهات نوعًا ما.

تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، كتابٌ أخلاقيٌّ مهمٌّ، ويعرَف بمجموعة ورَّام، كتاب لطيفٌ وماتعٌ، طغت عليه صفة الأخلاق والنصوص الأخلاقيَّة المتنوِّعة، والاستشهادات القرآنيَّة الكثيرة، والمرويَّات المتنوِّعة التي بلغت حدًّا كبيرًا جدًّا، تنوَّعت فيه الموضوعات المتعدِّدة (الفقهيَّة، والعقائديَّة، والتاريخيَّة، والأدبيَّة، والقصص، والشعر، والحِكَم، والمواعظ، والعِبَر، والوصايا، والزواجر، والنواهي)، وغيرها.

(١) ينظر: المدارس الأخلاقيَّة في الفكر الإسلاميّ: ٧٨.

بَدَأ الشيخ ورَّام الكتاب بمقدِّمة طويلة جدًّا، جاءت في (١١٨) مئة وثمان عشرة صحيفة، بدأ بالبسملة والحمدلة التي ضمَّنها قضايا في علم الكلام، أقرب منها إلى علم الأخلاق، إذ أشار إلى حقائق بالأصل الأوَّل من أصول علم الكلام (العقيدة الإسلاميَّة)، وهو أصل التوحيد، قال: «الحمد لله الأوَّل بلا ابتلاء، والآخر بلا انتهاء، والظاهر الغائب عن نوافذ الأبصار، والباطن المدرَك بوجود الآثار، والكائن من غير حدوث، والباقي من غير نهاية ولا وقت، والقديم السابق للأزمنة، والقائم الدائم قبل الأمكنة، والمتعالي عن كلِّ شيء عظمة، والقريب الشاهد لكلِّ نجوى معرفة، والفرد المنزَّه عن إلحاد الملحدين، والواحد المبرَّأ عن إشراك المشركين، بالحجج القويَّة القاهرة، والشواهد الجليَّة الظاهرة، أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تسليمًا»[1]، ثمَّ ذكرَ ثلاثة أبيات شعريَّة في ذمِّ الدنيا، قال:

«هِي الدُّنيا تَقولُ بِملء فيها
حَذَارِ حَذَارِ مِن بَطشِي وفَتكِي
فلا يَغررْكُمُ حسن ابتسامي
فقولي مُضحِكٌ والفِعل مُبكِ
أنا الدُّنيا كشهد فيه سُمٌّ
وإلّا جيفةٌ طِليَت بِمسْكِ»[2]

يشتمل الكتاب على ٢٣ بابًا، و٣٥ بيانًا، وثمانية أقسام، وفي المجموع يضمُّ ٦٦ عنوانًا، من بين هذه العنوانات أكثر من عشرة فصول في الفضائل، وأكثر من خمسة عشر

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ١/ ٥٥.
(٢) المصدر نفسه: ١/ ٥٦.

فصلًا في الرذائل، وفصلان في تحسين الأخلاق وتهذيبها، وما تبقَّى من البحوث يُعنى بموضوعاتٍ متفرِّقة، من قبيل: الآداب، الأسماء والكنى والألقاب، السفر، الواضع، والموت والمعاد، والمسائل المرتبطة بها، في كلِّ عنوان ضئيل، ولا يتعدَّى صفحات قلائل، نعم، ثمَّة موارد بحثها المؤول بتفصيل أكثر، ويلاحَظ أنَّه وإن أفاد من الآيات القرآنيَّة في طيَّات الأبحاث، وفي المعالجات التي قدَّمها، إلَّا أنَّه كرَّس جلَّ اهتمامه على نقل الروايات، وتبيين مفادها، وفي سياق البحوث التي يطرحها، وحرص المؤلَّف على الإفادة من روايات الفريقَين، كما أفاد أيضًا من الأشعار والحكايات بنحوٍ مناسبٍ ومقبول(١).

وسنحاول بيانَ أبواب الكتاب مع البيانات للأبواب التي بحاجة إلى عرضٍ، وكشفٍ، وتفصيلٍ. ابتدأ بباب الروائح، ما جاء في الطِّيب وألوانه، والتطيُّب به واستعماله،(٢)، ثمَّ باب الرسوم في معاشرة الناس وملاقاتهم ومصافحتهم ومجالستهم ومراسلتهم وذكرهم، وردُّ السلام والتحيَّة وآداب النفس، وما يتَّصل بذلك(٣)، فيما يصل إلى بيان ذمِّ الدنيا، فذكر تسعة عشر بيانًا في هذا الباب، وهي: بيان حقيقة الدنيا وماهيَّتها في حقِّ العبد(٤)، وبيان ذمِّ المال وكراهية حبِّه(٥)، وبيان مدح المال والجمع بينه وبين الذمِّ(٦)، وبيان ذمِّ الحرص والطمع، ومدح القناعة واليأس ممَّا في أيدي الناس(٧)، وبيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة

(١) ينظر: المدارس الأخلاقيَّة في الفكر الإسلاميّ: ٤٠٤-٤٠٥.
(٢) ينظر: تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ١/ ١١٩.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ١٢٢.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٤١٣.
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٤٢٠.
(٦) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٤٢٦.
(٧) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٤٣٣.

القناعة[١]، وبيان فضيلة السخاء[٢]، وبيان ذمِّ البخل[٣]، وبيان الإيثار[٤]، وبيان علاج البخل[٥]، وبيان ذمِّ الغنى ومدح الفقر، وبيان ذمِّ الاشتهار وفضيلة الخمول[٦].

وبيان ما يحمد من الرجاء[٧]، وبيان ذمِّ الرياء[٨]، وبيان الرخصة في كتمان الذنوب، وكراهة اطِّلاع الناس عليها، وكراهة ذمِّهم عليها[٩]، وبيان ترك الطاعات خوفًا من الرياء ودخول الآفات[١٠]، وبيان ذمِّ الكِبر[١١]، وبيان فضيلة التواضع[١٢]، وبيان الطريق في معالجة الكِبَر واكتساب التواضع[١٣]، وبيان آفة العُجب[١٤].

ومن ثمَّ باب ما جاء في أهل العلم المغترِّين، وجاء في بيانَين، الأوَّل: بيان فضل التوكُّل[١٥]، والثاني: بيان الحبِّ لله ولرسوله[١٦]، ثمَّ باب محاسبة النفس[١٧].

(١) ينظر: تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ١/ ٤٤١.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٤٤٧.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٤٤٩.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٤٥١.
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٤٥٥.
(٦) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٤٦٨.
(٧) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٤٧١.
(٨) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٤٧٦.
(٩) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٤٨٣.
(١٠) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٤٩٠.
(١١) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٤٩٧.
(١٢) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٥٠١.
(١٣) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٥١٠.
(١٤) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٥٢٣.
(١٥) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٥٤٢.
(١٦) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٥٤٦.
(١٧) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٥٦٣.

ومن ثمَّ باب التفكُّر[١]، وذكر فيه ستَّة بيانات، وهي: بيان كيفيَّة التفكُّر في خلق الله تعالى[٢]، وبيان ذكر الموت[٣]، وبيان ذكر طول الأمل، وفضيلة قصره، وسبب طوله[٤]، وبيان ذكر طول الأمل وعلاجه[٥]، وبيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره[٦]، وبيان مبادرة العمل[٧]، ومن ثمَّ باب في ذِكر شيء من كلام المحتضِّرين[٨]، ذكر فيه ما قال العارفون على الجنائز والمقابر[٩]، وقسَّمه على أربعة بيانات، هي:

**الأوَّل**: بيان ما ينبغي أن يُقال عند موت الولد[١٠].

**والثاني**: بيان زيارة القبور والدعاء للميت[١١].

**والثالث**: بيان كلام القبر للميت وكلام الموتى، إمَّا بلسان المقال، وإمَّا بلسان الحال التي هي أفصح في تفهيم الموتى من لسان المقال في تفهيم الأحياء[١٢].

**والرابع**: بيان عذاب القبر، وسؤال منكر ونكير[١٣]، ضمن مجموعة من الأبحاث:

(١) ينظر: تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ١/ ٥٩٥.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٦٠٨.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٥.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ١٢.
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٢١
(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٢٤.
(٧) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٢٧.
(٨) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٣٢.
(٩) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٣٧.
(١٠) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٤٣.
(١١) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٤٥.
(١٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٤٦.
(١٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٤٩.

نفخة الصُّور[١]، صفة أرض المحشر وأهله[٢]، صفة يوم القيامة ودواهيه[٣]، صفة المساءلة التي أخذت حيِّزًا وسيعًا من الكتاب، إذ استغرقت الجزء الثاني من الصحيفة (٦٣-٦١٢)[٤]، وأتمَّه في الجزء الثالث من الصحيفة (٥-١٢٣)[٥]، ثمَّ ختم أبواب الكتاب بذِكر بيان جُمل من مناهي رسول الله صلى الله عليه وآله[٦].

وبصورة عامَّة، فإنَّ الكتاب ذو طابعٍ أخلاقيّ؛ لكنَّه يفتقر إلى التنظيم المناسب. وفي ما يتعلَّق بدائرة الموضوعات التي يتَّسع لها الكتاب، نقول: على الرغم من التغطية المناسبة، نوعًا ما، لمختلف الموضوعات، إلَّا أنَّ حجم المطالب المندرجة متفاوتة في المادَّة العلميَّة.

بدأ الكتاب بمقدِّمة هي أقرب إلى علم الكلام، منها إلى علم الأخلاق، إذ أشار إلى حقائقَ تتعلَّق بالأصل الأوَّل من أصول علم الكلام (العقيدة الإسلاميَّة)، وهو أصل التوحيد.

## ثانيًا: كشف المحجَّة لثمرة المهجة

وإذا وَجَّهنا وجوهنا تلقاء مؤلَّفات السيِّد رضيّ الدين عليّ بن طاوس الحِلِّيّ (ت٦٦٤هـ)، ولاسيما كتاب (كشف المحجَّة لثمرة المهجة)، فإنَّنا نظفر بكتاب أخلاقيّ تربويّ، أرشاديّ، يدعو فيه إلى التَّقوى والتمسُّك بالأخلاق الإسلاميَّة العظيمة، والسَّير على خُطى الأئمَّة المعصومين عليهم السلام، إذ نرى التداعي الأخلاقيّ والإرشاديّ في

(١) ينظر: تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ٢/ ٥١.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٥٦.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٥٩.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٦٣-٦١٢.
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٣/ ٥-١٢٣.
(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٣/ ١٢٤-٢٣٤.

هـذا الكتاب الذي حوى مجموعة كبيرة في الوصايا التي قدَّمها السـيِّد رضيّ الدين عليّ ابن طاوس إلى ولده محمَّد، ولاسـيما أنَّه حذَّر ابنه من ركـوب الدنيا والغرور بزخارفها ومقوِّماتها، والدعوة إلى العمل الصالح، ومقابلة الله ﷻ بوجهٍ حَسن.

هو كتاب أخلاقيّ، عبارة عن مجموعة من الوصايا كتبها السيِّد ابن طاوس رضوان الله تعالى عليه لولده محمَّد، ضمَّنها من نوادر العظات، وفوائد المقالات، ما لا يُسـتغنى عنه، وأنَّه يُعبِّد طريق المعرفة بأبسـط بيان، ويفتح له أبواب السلوك بمقال العرفان، قال المؤلِّـف رحمه الله عن هـذه الوصيَّة: «وكنتُ قد رأيـتُ ورويتُ في تأريـخ الأنبياء والأوصياء وصايـا لَمَنْ يعزُّ عليهـم صلوات الله عليهم، ووجدت سـيِّدنا محمَّدًا الأعظم ورسـوله الأكـرم قد أوصى مولانا وأبانا عليًّا المعظَّم صلوات الله عليهما وآلهما، وأوصى كلٌّ منهما جماعة ممَّن يعزُّ عليهما، ووجدتُ وصايا مشـهورة لمولانا عليّ صلوات الله عليه إلى ولدِه العزيز عليهما السلام، وإلى شيعته وخاصَّته، ووجدت جماعة ممَّن تأخَّر زمانهم عن لقائه قد أوصى بوصايا إلى أولادهم، دلُّوهم بها على مرادهم، منهم محمَّد بن أحمد الصفوانيّ، ومنهم عليّ ابن الحسـين بن بابويه، ومنهم محمَّد بن محمَّد بن النعمان، تغمَّدهم الله برحمته ورضوانه، ومنهم مصنِّف كتاب (الوسـيلة إلى نيل الفضيلة)، وهو كتاب جيِّد فيه أشـارة إليه رحمةُ الله عليه، فرأيت ذلك سـبيلًا مسـلوكًا للأنبياء والأوصياء والأولياء والعلماء، فأمتثلت من أمر الله جلّ جلاله في متابعتي لهم، والاقتداء بهم، والاهتداء بنورهم»[1].

وقـد مثَّل ابنُ طاوس المدرسـة الأخلاقيَّـة التراثيَّة تمثُّلًا، ويبـدو في ضوء الخطاب الأخلاقـيّ الطاوسيّ أنَّـه ينطوي في ضمن المنهج الأخلاقيّ الأثـريّ، وهو ما يمثِّله ابن طاوس خير تمثيل، وخطابه يرتبط بدائرة الموضوعات والعنوانات الأخلاقيَّة التي يُعنى بها هذا الاتِّجاه، نلاحظ أنَّه في فيما يتعلَّق بالأسرة والمجتمع، تغطِّي هذه المدرسة مواضيع

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ١٥٢.

وعناوين أكثر، قياسًا بالمدرسة العرفانيَّة، وأنَّ دائرة اهتمامها (أي مصادر الأخلاق الأثريَّة) في مجال أخلاق العبوديَّة والأخلاق الاجتماعيَّة، تتَّسع لتشمل موضوعات وعنوانات أكثر، قياسًا بمصادر المدرسة الفلسفيَّة، إلَّا أنَّها قياسًا بمصادر المدرسة التوفيقيَّة، فالنسبة الموجودة هي نسبة العموم والخصوص من وجه؛ وذلك لأنَّ بعض العناوين المتعلِّقة بالأخلاق الفرديَّة أو بالأخلاق الاجتماعيَّة أو بأخلاق الأسرة، لم ترد في الكتب الروائيَّة، وفي المقابل فإنَّ جملة من العناوين التي كانت محطَّ اهتمام الروايات، لم يرد لها ذكر في مصادر الأخلاق التوفيقيَّة، وفي ظلِّ النصوص الطاوسيَّة البالغة الدلالة، والذائعة التداول، نجد أنَّها ذات شموليَّة في آداب الدعوة، والتبليغ الاخلاقيّ، ويتجلَّى الموقف الطاوسيّ الشموليّ في جوابه على استفتاء هولاكو العلماء: «أيُّها أفضل، السلطان الكافر العادل، أم السلطان المسلم الجائر؟ وجمع العلماء بالمستنصريَّة لهذه الغاية، فلمَّا وقفوا على الفُتيا، أحجموا عن الجواب، وكان رضيُّ الدين عليّ بن طاوس حاضرًا هذا المجلس، وكان مُقدَّمًا مُحترمًا، فلمَّا رأى إحجامهم، تناول الفُتيا، ووضع خطَّه فيها، بتفضيل العادل الكافر على المسلم الجائر، فوضع الناس خطوطهم بعده»[1].

وكذلك كانت لابن طاوس إسهامات في فقه الأخلاق، وتأسيسًا على ما ذكرناه من قبل، يمكن القول: إنَّ ابن طاوس من المؤسِّسين لـ(فقه الأخلاق) في ضوء ما وقفنا على خطاباته الأخلاقيَّة المبثوثة في كتبه، فقد أعطى للعبادات والمعاملات مدياتها وتخوماتها الرَّحبات، كاشفًا أسرارها ودقائقها، قال في حقيقة (الصيام): «وأمَّا حديث الصيام، فإنَّما صورته أنَّك تصوم بالليل في المنام، فقلب الله جلَّ جلاله تدبير الحال، وجعل لك شوقًا وذكرًا جميلًا في الأعمال، فصرت تأكل بالليل، وتصوم بالنهار، وهو رياضة الأبرار، وبما علَّمهم الله جلَّ جلاله من هو من غيره امتلأت قلوبهم من الأُمور، واطَّلعوا على ما أراد

(١) الفخريّ في الآداب السلطانية في الإسلاميَّة:١١.

اللهﷻ اطلاعهم عليه من الأسرار، فابدأ يا ولدي بصوم العقل والقلب، وعن كلِّ ما يشغل عن الربِّ، وعن الإفطار بالذنب، وذكر نفس كأهل وطلب سلطان مثل ذلك منك وأنت تقرب إليه وأنت في حضرته بين يديه بشعار المراقبة بخدمته، والإمساك عمَّا يبعدك عن حضرته، أمَا كنت تفرح بهذا التكليف، وتعتقد أنَّه من التشريف؟»[1].

وقد اتَّبع طريقة (التسلسل الاجتماعيّ) في الإفادة من نهج القرآن، ونظَّمه في آداب الخطاب الأخلاقيّ، ولاسيَّما الدعاء، فقد آل على نفسه ألَّا يشمل دعاءه المؤمنين والمسلمين فحسب، بَلْ شمل دعاؤه الفجَّار والمعاندين، فأساليب الدعاء مفتوحة أمام العبد شاملة، يقول: «وكنتُ في ليلة جليلة من شهر رمضان، بعد تصنيف هذا الكتاب بزمان -يقصد كتاب الإقبال- وأنا أدعو في السَّحر لمن يجب أو يحسن تقديم الدعاء له، ولي ولمَنْ يليق بالتوفيق أن أدعو له، فورد على خاطري أنَّ الجاحدين للهﷻ ولنِعَمه، والمستخفِّين بحرمته، والمبدِّلين لحكمه في عباده وخليقته، ينبغي أن يُبدأ بالدعاء لهم بالهداية من ضلالتهم»[2].

والكتاب في الأصل كما قلنا وصية من السيِّد ابن طاوس إلى ابنه البكر محمَّد، قال: فيما أذكره من العذر في الاقتصاد في الوصيَّة على المذاهب العقليَّة من دون استيفاء الأحكام الشرعيَّة، اعلم أنَّ جماعة ممَّن عرفته من المصنِّفين اقتصروا على المعروف والمألوف من آداب وأسباب في وصايا أولادهم يتعلَّق بالدين والدنيا، ورأيتُ أنَّ متابعتهم في ذلك تضييع لوقتي، إذ كان يكفي أن أدلُّهم على تلك الكتب وما فيها من الآداب، وما كنت أن أحتاج إلى أن أنكشاف تصنيف كتاب، وإنَّما أذكر ما اعتقد أنَّه، أو أكثر ممَّا لا يوجد في رسائل من ذكرت من أصحابنا العلماء في تصانيفهم لأولادهم،

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ١٤٧

(٢) الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرَّةً بالسنة: ١/ ٣٨٤.

ممَّـا أخاف أن أولادي لا يظفرون من غير كتابي هذا بمرادهم لدنياهم ومعادهم، إلَّا أنْ يتداركهم الله جلّ جلاله الذي هو ربُّهم أرحم وعليهم أكرم من خزانته[1].

ألَّفه السـيِّد سـنة تسـع وأربعين وسـتمئة هجريَّة (٦٤٩هـ) في بلدة الحِلَّة السيفيَّة، قال: «فوجدت في خاطري في شـهر محرَّم من السـنة المقدَّم ذكرها البالغة بعمري إحدى وستِّين، باعثًا رجوت أن يكون من مراحم أرحم الراحمين، أنِّي أصنِّف كتابًا على سبيل الرسالة منِّي إلى ولدي عليّ، ومَنْ عساه ينتفع به جماعتي وذوي مودَّتي قبل أن يحول بيني وبين أمنيتي ما لا بدَّ من لقائه من انتقالي إلى آخرتي»[2].

والكتاب مقسَّـم على مقدِّمة وعدد كبير من الفصول، بلغت تسـعة وخمسـين بعد المئة فصلًا، جاء الفصل الأوَّل عن التقوى، قال: «اعلم ما أقول هذا غفولًا عن الشرف بالتقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣)، ولكن سلامة الأعقـاب من الطعـن والبلوى مـن أفضل نِعَـم الله جلّ جلاله التي أمرَ بالاعـتراف بقدرها، وحثّ في القرآن الشريف عـلى الحديث بها ونشرها ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى: ١١)»[3].

وجاء الفصل الأخير بقوله: «وقد مضى في رسالة أبيك عليّ عليه السلام إلى شيعته قوله عليه السلام: مـا كان يلقى في روعي كذا وكذا من الحوادث التي تجـدَّدت عليه، وليس ذلك مناقضًا لمـا روي عنه عليه السلام من تعريف النبيّ صلى الله عليه وآله وما تجدَّد بعده عليه؛ لأنَّ قوله صلى الله عليه وآله: «**ما كان يلقى في روعـي**» محتمـل أنَّه ما كان ألقي في روعه ولا في روع غيره، لولا كشـف ذلك له عن جهـة النبيّ صلى الله عليه وآله أنَّ الأنصار، ومَنْ تابعهم يعلمون من تقديم مَنْ قدَّموا عليه؛ أنَّ العقول

(١) ينظر: كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ١٠-١١.
(٢) المصدر نفسه: ١٣.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤١.

بمجرَّدها ما كان يلقى في روعها أنَّهم يعدلون عن حقوق من دلَّهم على الإيمان، وأعزَّهم بعد الهوان، وكانوا يعبدون أحجارًا وأخشابًا، فنزَّههم عنها، وكانوا على شفا حفرة من النار، فأنقذهم منها، جعلهم ملوكًا وحكَّامًا على العباد، وكشف لهم عن سعادة الدنيا والمعاد»[1].

## ثالثًا: عُدَّةُ الدَّاعي ونجاحُ السَّاعي

ومن الكتب الأخلاقيَّة الحِلِّيَّة التي تمثِّل مرحلة متأخِّرة في التأليف الأخلاقيّ، ولاسيَّما في المبحث الدعائيّ، كتاب (عدَّة الداعي ونجاح الساعي) لأحمد بن فهد الحِلِّيّ (ت٨٤١هـ)، وهو من الذين اشتهروا بالعلم والفضل والزُّهد والأخلاق والعرفان.

ولا بدَّ من القول قبل أنَّ ندخل في البيان، أي هيكليَّة الكتاب والموضوعات التي اضطمَّ عليها: إنَّ اتِّجاه الدعاء والمناجاة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام يمثِّل البناء الحقيقيّ للإنسان المسلم، في ظلِّ المضامين والمعالم التي جاءت في أدعيتهم وغايتهم بناء الإنسان، وإشهاده بحقيقة الأعمال والسجايا الكريمة التي يحقُّ أن يتحلَّى بها المسلم، من هنا عمد أهل البيت عليهم السلام إلى تكرار الفضائل، وإعطاء الإنسان أبهى صورة، وإعطاء دور كبير للإنسان بوصفه خليفة الله في الأرض. قال ابن فهد الحِلِّيّ: وبعد.. فإنَّ الله تعالى من وفور كرمه علَّم الدعاء ونَدَب إليه، وألهمَ السؤال وحثَّ عليه، ورغَّب في معاملته والإقدام عليه، وجعل في مناجاته سبب النجاة، وفي سؤاله مقاليد العطايا ومفاتيح الهبات، وجعل لإجابة الدعاء أسبابًا من خصوصيَّات الدعوات، وأصناف الداعين والحالات، والأمكنة والأوقات، فوضعنا هذه الرسالة على ذلك، وسمَّيناها: (عدَّة الداعي ونجاح الساعي)، وفيها مقدِّمة وستَّة أبواب، أمَّا المقدِّمة، ففي تعريفه والترغيب

(١) ينظر: كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٢٧٨.

فيه، وهذا أوان الشروع، فنقول، الدعاء لغةً: النداء والاستدعاء، تقول: دعوت فلانًا، إذا ناديته وصحت به، واصطلاحًا طلب الأدنى للفعل من الأعلى على جهة الخضوع والاستكانة، ولـمَّا كان المقصود من وضع هذا الكتاب الترغيب في الدعاء والحثِّ عليه، وحُسن الظنِّ بالله، وطلب ما لديه، فاعلم أنَّه قد ورد في الأخبار عن الأئمَّة الأطهار ما يؤكِّد ذلك، ويدلُّ عليه، ويرغِّب فيه، ويهدي إليه.

ويبدو من هذه المقدِّمة القيِّمة أنَّ ابن فهدٍ قد أشار إلى قضيَّة ذات بُعْد أخلاقيّ واجتماعيّ عالٍ، وهي أنَّ الله ﷻ من وفور كرمه، ومننه العظيمة إلى لزوم أن يقبل العبد إليه (تعالى) بالدعاء، والحثِّ على التقرُّب إليه وجوبًا، ورغبةً من أجل نيل الخير والعطايا، موضِّحًا أنَّ للدعاء أسبابًا وخصوصيَّاتٍ، فضلًا عن ذلك أشار إلى فضل الأمكنة والأزمنة، في قبول الدعاء، وعظمته، وعودٌ على بدء، فإنَّ هذا الكتاب (عدَّة الداعي ونجاح الساعي) من الكتب الشيعيَّة الأماميَّة المشهورة والمعروفة، ويمكن بيان هيكليَّة الكتاب في ضوء تقسيمه إيَّاه إلى ستَّة أبواب، وهي:

**الباب الأوَّل والثاني**[1]: الترغيب في الدعاء، وبيان الأدلَّة العقليَّة والنقليَّة على ذلك، والسبب في عدم استجابة الدعاء في بعض الأحيان.

**والباب الثالث**[2]: في أسباب استجابة الدعاء، وقد تمَّ تقسيم أسباب الاستجابة إلى أسباب متعلِّقة بالدعاء نفسه وزمانه ومكانه والحالات المرتبطة به، وأسبابٍ خارجة عنه.

**الباب الرابع**[3]: في بيان أقسام الداعين، ففي هذا الباب يقسِّم المؤلِّف الداعين

(١) عدَّة الداعي ونجاح الساعي: ١٠.
(٢) المصدر نفسه: ١٣٦.
(٣) المصدر نفسه: ١٨٩.

إلى طائفتَين: من يستجاب دعاؤه، ومن لا يستجاب، ثمَّ يتعرَّض إلى بيان أقسام كِلتَا الطائفَتَين.

**الباب الخامس**[1]: ويُعنى بيان كيفيَّة الدعاء وآدابه.

**الباب السادس**[2]: في الذِّكر، وهو ملحق بالدعاء، ويختصُّ ببيان الأدلَّة العقليَّة والنقليَّة للذِّكر وأوقاته، وشروطه، الذِّكر وأقسامه.

وقد رصدنا مجموعة من الخصائص التي اتَّسم بها الكتاب، منها:

١. كثرة الاستشهادات القرآنيَّة والروائيَّة في الكتاب، وأنَّ هذا الاصطفاء للآيات القرآنيَّة والروايات كان على وَفْقِ منهجيَّة دقيقة، إذِ استطاع أن يوظِّف النصوص القرآنيَّة توظيفًا في محلِّها من البيان والتفسير.

٢. الشرح البيانيّ والتكشيف التفسيريّ لكثير من الآياتِ والروايات وإيضاحها، وبيان ما فيها من غموضٍ وإبهام.

٣. حرص المؤلِّف، وهو العارف الواصل، على إرشاد القارئ وتوجيهه إلى التناقص الذي قد يعيشه، بين الإيمان الظاهريّ الذي هو عليه، وبين ما يصدر منه أعمال مَشُوْبة بالشِّرك، ويلفت نظره إلى هذه الحقيقة، وهي أنَّ الإسلام والإيمان قد فتحا علينا آفاق الغيب، وعرفنا بوجود ربٍّ رحيم أحديّ الوجود، لا شريك له (مصدر العلم، والوجود، والرحمة) هو من وراء جميع الظواهر التي تزدحم بها عوالم الوجود، وإذا كان الدعاء أحد أهمِّ طرق التواصُل والارتباط بتلك الذات الأحديَّة المقدَّسة، فلماذا إذن نغفل عن هذه

(١) عدَّة الداعي ونجاح الساعي: ٢٦٤.
(٢) المصدر نفسه: ٢٨٦.

النعمة العظيمة، ولا نستمدُّ منها العون والمدد، ونحن نسير في مسار الحياة الماديَّة والمعنويَّة ومنعطفاتها الخطيرة؟.

٤. هذا الكتاب، وإن لم يكن كتاب وعظٍ وإرشاد، إلَّا أنَّه وفي مواطن عدَّة، وبعد أن يحرِّر الموضوع الذي هو يصدده، ويقرِّر بحثه بلغة عمليَّة متقنة، مع ذِكر الأدلَّة والمستندات من القرآن والسنَّة، يعمل على بيان نصائح مؤثِّرة ونافذة، من شأنها أن تعين السالكين في مسيرتهم العمليَّة.

٥. يعدُّ المؤلِّف من كبار علماء الشيعة الاثني عشريَّة، إلَّا أنَّه في ذكره للروايات لم يكتفِ بالمصادر الروائيَّة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، بل تجده في بعض الموارد استفاد من روايات أهل السنَّة، بالقدر الذي تسمح له رؤيته التي انطلق منها في فقه الأخلاق.

٦. استطاع أن يُفرغ معالجاته وإثاراته العلميَّة النافعة، في قالب لطيف وصياغات تعبيريَّة جميلة، وقد أفاد في بعض المواضع من الأشعار والقصص ذات الطابع الحِكَميّ، ما أضفى على البحوث مسحة من الطرافة والمتعة.

## المدرَستان الأخلاقيَّتان الفلسفيَّة والعرفانيَّة

### أوَّلًا: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق

أمَّا فيما يتَّصل بالمدرسة الفلسفيَّة الأخلاقيَّة، فإنَّنا سنقف عند كتاب أخلاقيّ فلسفيّ، وقد وقع الاصطفاء على كتاب (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق) لأبي عليّ أحمد بن محمَّد بن يعقوب الرازي، الملقَّب بـ(مِسْكَويه)، والمشتهر (بالمعلِّم الثالث)[1].

(١) المدارس الأخلاقيَّة في الفكر الإسلاميّ: ١٥٧.

ومن المفيد القول: إنَّ كتاب تهذيب الأخلاق قد تأثَّر في التراث الفلسفيّ اليونانيّ، نظير ما كسبه أرسطو وأفلاطون وجالينوس، إلَّا أنَّه لـمَّا كان المؤلِّف قد أولى اهتمامًا بالغًا بالشريعة الإسلاميَّة، نجده قد أجْهَدَ نفسه للتوقُّف بين آراء فلاسفة اليونان، وبين المعتقدات الدينيَّة، والتعاليم الشرعيَّة والإسلاميَّة[1].

ولا شكَّ أنَّ مسكويه قد تأثَّر بمَنْ سبقه من الفلاسفة، واقتبس من آرائهم واستعمل مقولاتهم، فقد تأثَّر بكتب أرسطو الأخلاقيَّة، كما أنَّه قد تأثَّر بكتاب (تهذيب الأخلاق) ليحيى بن عَدِي التكريتيّ، وكتاب (الطبِّ الروحانيّ) للرازي، وكتاب (دفع الأحزان) للكنديّ.. وغيرهم، وأرسطو نفسه، ما هو إلَّا صدًى لكتابات أستاذه أفلاطون الأخلاقيَّة، ولو أراد الباحث أن يحلِّل أفكار أرسطو جزءًا بعد جزءٍ؛ لاكتشف أنَّ آراء أرسطو الأخلاقيَّة مُستقاة من فلسفة أفلاطون، على أنَّها كُتِبت بأسلوب أرسطو العَالِم المنطقيّ المدقِّقِ[2].

وبدا لنا أنَّ أهم الموضوعات المبحوثة فيه قوَّة النفس الثلاث: الشهويَّة، والغضبيَّة، والناطقة، وما يرتبط بها من الفضائل والرذائل

وقد أبان مسكويه في مقدِّمة كتابه إلى مقدِّمات، منها الأخلاق، ومن ثمَّ الوصول إلى الفضيلة والسعادة، قال: غرضنا في هذا الكتاب أن نحصل لأنفسنا خُلُقًا تصدر به عنَّا الأفعال كلُّها جميلة، وتكون مع ذلك سهلة علينا لا كلفة فيها، ولا مشقَّة، ويكون ذلك بصناعةٍ وعلى ترتيبٍ تعليميّ، والطريق في ذلك أن نعرف أوَّلًا نفوسنا ما هي؟ وأيّ شيء؟ ولأي شيءٍ أوجدتْ فينا؟ أعني: كمالها، وغايتها، وما قواها، ومَلَكاتها التي إذا استعملناها على ما ينبغي، بلغنا بها هذه الرتبة العليَّة؟ وما الأشياء العائقة لنا

(١) ينظر: فلسفة الأخلاق بين أرسطو ومسكويه: ٦.
(٢) ينظر: المصدر نفسه.

عنهـا؟ وما الذي يزكِّيها فتفلح؟ وما الذي يدنسـها فتخيب، فإن الله ﷻ يقول: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ (الشـمس: ٧-١٠)، ولـمَّا كان لـكلِّ صناعة مبادئ عليها تبتنـي، وبها تحصل، وكانت تلـك المبادى مأخـوذة من صناعة أخـرى، وليس في شيء من هـذه الصناعات أن تبيِّن مبـادى أنفسـنا، كان لنا عـذر واضح في ذِكر مبـادئ هذه الصناعة عـلى طريق الإجمال والإشـارة بالقول الوجيز، وإن لم يكن ممَّا قصدنا لـه، واتِّباعها بعد ذلك بما توخَّيناه من إصابـة الخلـق الشريف الـذي يشرف شرفًا ذاتيًـا حقيقيًّا، لا على طريـق العرض الذي لا ثبات له ولا حقيقة، أعني المكتب بالمال والمكاثرة، أو السلطان والمغالبة، أو الاصطلاح والمواضعة[1].

وفي ظـلِّ الرجـوع إلى الكتـاب وقراءته، نرى أنَّه قسَّـمه على مقالاتٍ سـبع، ففي المقالة الأولى تعريف النفس الإنسانيَّة[2]، إذ عرَّف بالنفس مبيِّنًا فضيلتها وما يتولَّد منها من فضائل، وهي الحكمة والعفَّة والشـجاعة والسـخاء والعدالة، أمَّـا المقالة الثانية[3]، فتحـدَّث بهـا عن الأخـلاق وطبائعه، مبيِّنًـا أنَّ صناعـة الأخلاق أفضـل الصناعات، وجـاءت المقالة الثالثة[4] بعنوان الفرق بين الخير والسـعادة، متحدِّثًا عن أقسـام الخير، وشروطه، وتحقيق السـعادة، وقيَّـد المقالة الرابعة[5] بأعمال الإنسـان، وهي الشـجاعة والسخاء والعدالة، وأمَّا المقالة الخامسة[6] فكانت في أنواع المحبَّة، ولاسيَّما المحبَّة للأهل

(١) ينظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: ٢٧.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٩.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٥١.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٨٣.
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٣.
(٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٥.

والحكماء والعلماء، وكانت الأمراض النفسيَّة عنوانًا للمقالة السادسة[1]، وختم المقالات بالمقالة السابعة التي حملت عنوان الطبِّ النفسانيّ[2]، مصرِّحًا على ذلك بالرذائل التي يصاب بها الإنسان، التهوُّر، والجبن، والعجب، والافتخار، والمزاج، والتيه، والغدر، والضيم، والغضب.

وأمَّا منهج الكتاب المتَّبع، فهو منهج فلسفيّ صِرْف، فيغلب عليه طابع الاستدلال البرهانيّ، إذ استفاد المؤلِّف من الأحجية الخطابيَّة والجدليَّة، وكان الجانب النقليّ والأثريّ قليلًا جدًّا، بخلاف المدرَستين العرفانيَّة والأثريَّة التي أكثرت من الشواهد القرآنيَّة والمرويَّات الحديثيَّة وأقوال العلماء.

أمَّا فيما يتعلَّق بالمدرسة العرفانيَّة، فإنَّ مبحث الأخلاق في كتبهم يمثِّل قطب الرصد، والمفتتح من الكلام، ويبنون فكرتهم على أساس أنَّ القوس تقبل التغيُّر بالرياضة والإصلاح والمجاهدة والهداية والإرشاد، وأنَّ الأخلاق ممَّا يُكتسَب بالتعلُّم والممارسة، ويرى هؤلاء العرفانيُّون أنَّ حسن الخلق، لكي يتحقَّق مراده، ويظفر بمحصوله، لا بدَّ من أمرَين:

**الأوَّل:** وجود إلهيّ وكمال فطريّ، بحيث يولد الإنسان، ويخلق كامل العقل، حسن الخلق، قد كفي سلطان الشهوة والغضب؛ لأنَّهما خلقتَا فيه معتدلَتَين منقادَتَين للعقل والشَّرع من أوَّل الأمر، فيكون عالمًا بغير تعليم، مؤدبًّا بغير تأديب، كالأنبياء والأولياء.

**ثانيًا:** اكتساب المجاهدة والرياضة، وهما حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها

(١) ينظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: ١٥١.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٦٣.

الخلـق المطلـوب؛ ليصير فيه طبعًا، بفعـل التكرار والاسـتمرار والمواظبة على المجاهدة والرياضة[١].

## ثانيًا: الفتوحات المكِّيَّة

ومن الكتب التي تمثِّل المدرسـة العرفانيَّة الأخلاقيَّة خـير تمثيل كتاب (الفتوحات المكِّيَّـة)، للشـيخ محيي الدين بن عـربيّ (ت٦٣٨هـ)[٢]، وابن عربـيّ فيلسـوف صوفـيّ يندرج بشـكل عام في السياق التاريخيّ لمذهب وحدة الوجود، وهو يعطي الأسس التي ارتكز عليها هذا البناء، عرفه معاصروه، واختلف في مدحه كثيرون، وأثنوا على جهوده وقـدَّروا فكره، وعظَّمـوا قدره، وكانوا هـؤلاء بأغلبهم يجدون في التصـوُّف والعرفان الفُسحة الرحبة التي يمكن لهم أن يفجِّروا فيها المكوِّنات والأبعاد الروحيَّة.

وقد تميَّز ابن عربيّ بفكرٍ ناقدٍ ونافذ، مع ما يتبدَّى في إنتاجه، ويشيع من نزعة تلفيقيَّة ظاهرة، لهذا استوعب معارف عصره، وهضم التراث الصوفيّ السابق عليه برمَّته، وقرأ الفلاسفة ثمَّ أظهر تَحيُّزًا واضحًا للإرث العرفانيّ الصوفيّ الذي يَميل إليه، وحرص على تكسُّـب ما هو خاص ومتميِّز في المضمون والأسلوب والمنهج والطريقة والشكل ولغة النصِّ[٣].

يرى ابن عربيّ أنَّ السخاء من النظام الأخلاقيّ في الإسلام، وهو ايصال المقرَّبين إلى مقام الشهود، وإعداد الموحِّد بتوحيدِ خاصِّ الخاصِّ الذي يعبِّر عنه الغزالي (ت٥٠٥هـ) (لبُّ اللبِّ)، ويعدُّه حصيلة مشاهدة الصدِّيقين ونتاجهم[٤].

(١) العرفان الشيعيّ (دراسة في الحياة الروحيَّة والفكريَّة لحيدر الآمليّ): ٥٠٥.
(٢) مـن الجديـر بالذِّكر أنَّ الشـيخ بن عربيّ يذكـر أنَّ من زوجاته، بعد رحلتـه إلى الشرق، زوجةٌ توفِّيت بالحِلَّة من بغداد (الفتوحات المكِّيَّة): ١/ ٢٣.
(٣) العرفان الشيعيّ (دراسة في الحياة الروحيَّة والفكريَّة لحيدر الآمليّ): ٧٦.
(٤) الفتوحات المكِّيَّة: ٤/ ٢٦١.

ويرى ابن عربي أنَّ غاية الأخلاق الوصول إلى مقام الشهود، وأنَّ الحبَّ الإلهيّ هو الطريق أو المقدِّمة لبلوغ القرب الإلهيّ، وقد اتَّسع الكتاب لدوائر بحثيَّة عدَّة، وبحث في مجالات مختلفة من أصول ومعارف دينيَّة وفروعها، وسنحاول أنْ نستجلي هيكليَّة الكتاب في ظلِّ الوقوف على فهرس أبوابه، فقد جاء في ستَّة فصول، وفي خمسمئة وستِّين بابًا.

كان الفصل الأوَّل في المعارف[1] ثلاثة وسبعين بابًا، الأوَّل منها من معرفة الروح، والأخير في معرفة عدد ما يَحْصُل من الأسرار المشاهير عند المقابلة بالأشراف.

وجاء الفصل الثاني في المعاملات[2]، بدأه من الباب الرابع والسبعين في التوبة، وأنهى الفصل بالباب التاسع والخمسين بعد المئة في معرفة صورة السالك.

وخصَّص الفصل الثالث في الأحوال[3]، ابتدأهُ من باب التسعين والمئة في معرفة المسافر وأحواله، وضمَّه في الباب التاسع والستين بعد المئتين في معرفة علم اليقين، وعين اليقين، وحقِّ اليقين.

وعنوان الفصل الرابع (في المنازل)[4]، مهدَّ الباب التسعين بعد المئتين في معرفة منزل التجلِّي، منزل القطب، وأنهى الباب الثالث والثمانين بعد الثلاثمئة (في معرفة منزل العظمة الجامعة للعظمات).

وخصَّص الفصل الخامس[5]، في المنازلات، ابتدأ في الباب الرابع والثمانين

(١) ينظر: الفتوحات المكِّيَّة: ١/ ٥٨.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣/ ١٦٣.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣/ ٣٠٠.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣/ ٣٤٠.
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٤/ ٣١٦.

والثلاثمئة في معرفة المنازلات الخطابيَّة، وأنهى الباب الحادي والستِّين بعد الأربعمئة (في معرفة منازلة من استدلَّت عليه صحاب كنفي).

وختم الفصول بالفصل السادس في المقامات[1]، بدأه بالباب الثاني والسبعين بعد الأربعمئة (في معرفة الأقطاب المحمَّدية ومنازلهم)، وقفله بالباب الستين والخمسمئة (في رصد الحكميَّة الشرعيَّة الإلهيَّة)، وهو الباب الأخير من الكتاب.

ويمكن الوقوف على أهمِّ مضامين الكتاب وخصائصه:

**أوَّلًا**: كثرة الاستشهادات القرآنيَّة في الكتاب، إذ وصل عددالشواهد، فيما أحصيته، إلى (٧٨١٠)، وهو عدد ضخم إذا ما قيس بالكتب الأخرى، ولاسيما إذا عرفنا أنَّ الاستشهاد في المدرسة الأخلاقيَّة الفلسفيَّة قليل.

فقد حرص ابنُ عربي على إبراز الطريقة التي تعاطى بها مع النصِّ الدينيِّ قرآنًا وسنَّةً، وإظهار كيفيَّة اعتماده عليها، لذلك كثرت الاستشهادات القرآنيَّة وروايات النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، فقد استنطقها، ووظَّفها واستثمرها؛ لتأكيد آرائه، وترسيخ وجهات النظر وترتيبها.

**ثانيًا**: اهتمام ابن عربي بالمسلك العرفانيّ والدفاع عنه، فضلًا عن البحوث الأخلاقيَّة والعرفانيَّة، لهذا نجد مساحة لا باس بها في الكتاب، فنجد مباحثات في التوبة[2]، ومجاهدة النفس[3]، وفي مقام الصدق[4]، والتوكُّل[5]، ومراقبة

(١) ينظر: الفتوحات المكِّيَّة: ٧/ ١١٩.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣/ ١٦٢
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣/ ١٦٨.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣/ ٢٥٩.
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٣/ ٢٤٣.

النفس[1]، وغيرها

**ثالثًا:** لا شكَّ أنَّ كتاب الفتوحات المكِّيَّة يمثِّل القمَّة في الكتب العرفانيَّة الأخلاقيَّة التي قلَّ نظيرها، إذ انماز بالكثير من نقاط القوَّة، منها تضمُّنه عنوانات جامعة تشمل أغلب مباحثات الأخلاق، وأعمُّ من الأخلاق العبوديَّة، والأخلاق الفرديَّة، وأخلاق الأسرة، والأخلاق الاجتماعيَّة، وغيرها، ومنها توافره على منظومة عرفانيَّة مشرعة، منها كتاب الله ﷻ، وحرصه على اكتشاف تعاليمه التربويَّة، فضلًا عن ذلك، وكما قلنا، سهولة التعبير، وتبسيط العبارة، وهما البيان، وقد مدح هذا الصنيع، قال في مقدِّمة كتابه: فقد بانت المطالب بأدلَّتها كما ذكرناها، ثمَّ صلَّى وسلَّم على ما حمد وقعد، فشكره الحاضرون على إيجازه في العبارة، واستيفائه المعاني في دقيق الإشارة.

**رابعًا:** اتَّبع ابن عربيّ في كتابه تقليدًا بالغ فيه في الكشف والشهود، ذلك الإسهاب في ذكر الرؤى والمكاشفات التي تحصل له في اليقظة أو النوم على صورة حلم أو رؤيا، يذكرها ابن عربيّ في سياق الدليل على عَظَمة مكانه، وعلوِّ منزلته في المعرفة والعلم، وسلامة سلوكه، وصحَّة طريقته، ووصوله إلى أعلى درجات المشاهدة.

**خامسًا:** بدا لنا أنَّ ابن عربيّ كان حجاجيًّا معارضًا على أساس أنَّ الكشف لا يعارَض إلَّا بالكشف، والشهود لا يقابله أو يدفعه إلَّا شهود مثله، إذ رأينا منطق المحاجَّة المؤسَّس على العقل، وهو أسلوب كانت تطغى فيه اللغة الشعريَّة المباشرة، لغة الاشارة والرمز والتخيُّل، وبأسلوب القصة والمثل والأسطورة، وعلى هذين، اللغة والأسلوب، يتوجَّهان إلى ما هو بالحسِّ ومشاعر وتدفُّق ووجدان وروح.

فقد أسَّس لرؤية فكريَّة ووجهة نظر قائمة على معرفة لدنيَّة متلقاة، ولقراءة العالم

(١) ينظر: الفتوحات المكِّيَّة: ٣/ ٢٢٩.

وللإنسان، مرتكزةً على التأمُّل الداخِليّ القلبيّ، والشهود الجوَّاني، واستنباط الحقيقة روحيًّا[1].

ونظرًا إلى كثرة المخاطبين، وتعدُّد أمزجتهم وأذواقهم، فإنَّ الروايات الواردة تحت موضوع واحد، ليست بمستوى معرفيّ واحد، بل تشتمل على مستويات معرفيَّة متعدِّدة، تضمَّنت مصادر هذا الاتِّجاه خلطًا واضحًا بين الأخلاق الإسلاميَّة، والآداب الإسلاميَّة.

## المطلب الثاني: لغة المؤلِّف الأخلاقيّ

عَرَفنا من قبلُ أنَّ الخطاب الأخلاقيّ الحِلِّيّ الإرشاديّ، هو لغة سهلة مناسبة؛ لأنَّ الإرشاد والوعظ يتطلَّب هذه اللغة الوسطى، إن صحَّ التعبير، التي تُلْقَى على الطبقات الوسطى من الناس، والمنتديات العامَّة، وهذا ما لمحناه مؤلَّفات المدرسة من نحو (تنبيه الخواطر ونزهة النواظر) للشيخ ورَّام الحِلِّيّ، و(كشف المحجَّة لثمرة المهجة)، و(محاسبة النفس)، للسيِّد عليّ ابن طاوس و(وصيَّة العلَّامة الحِلِّيّ لولده محمَّد)، و(عدَّة الداعي ونجاح الساعي) لابن فهد الحِلِّيّ.

وسنصطفي نصَّين من كتاب كشف المحجَّة للسيِّد ابن طاوس الحِلِّيّ، والآخر من وصيَّة العلَّامة الحِلِّيّ لابنه فخر المحقِّقين.

بيَّن السيِّد في وصية لابنه أنَّ التكليف الشرعيّ هو أعظم أيام الأعياد، وأنَّ الإحسان إلى العبد من أفضل العبادات، قال: «وينبغي يا ولدي محمَّد، أسعدك الله ﷻ بإقباله ومكاشفة ﷻ أن تعتقد أنَّ يوم تشريفك بالتكليف كان من أعظم أيَّام

(١) ينظر: د. حميّة، خنجر عليّ، العرفان الشيعيّ (دراسة في الحياة الروحيَّة والفكريَّة لحيدر الآمليّ): ٧٧٢.

الأعياد، وأن وقت تعريفه لك بعظمته، واستخدامك في طاعته، كان من أشرف أوقات الإسعاد، والإرفاد، كما قدمناه، فإيَّاك أن يخطر ببالك ثواب أو جزاء على طاعتك أو خدمتك؛ فإنَّك ترى العقول قاضية بأنَّ السلطان الكامل الذي يُرجى إحسانه بالتقرُّب إليه، يرشى وتبذل النفوس والرؤوس في التقرُّب منه والإنفاق عليه، فتعلم أن كلَّ من أحسن إحسانًا كثيرًا إلى عبد من العباد، فإنَّه يجد من نفسه لزوم خدمته والوفاء له، ومتابعة إرادته بغاية الاجتهاد، فلأيِّ حالٍ كان الحال مع الله ﷻ في العقول دون هذه الحال، تعالى الله ﷻ عن المقابلة بهذه الضلالة»[1].

إذ نَلْمَحُ اللغة السهلة عند المتكلِّف البعيد، عن الإشارات والرموز، كإنَّها تُلْقى في مجلسِ وعظٍ وإرشادٍ.

أمَّا فيما يتَّصلُ بوصيَّة العلَّامة الحِلِّيّ لولده، فنبصر الألفاظ السهلة، والأسلوب الماتع، القائم على الإقناع وإقامة الحجج في ضوء ترسُّم التناصَّات القرآنيَّة، والحديثيَّة، والروائيَّة عن أهل البيت عليهم السلام، فضلًا عن ذلك الأسلوب الأمريّ المؤدَّى بالصيغ الأمريَّة (اسم فعل أمر)، (عليك)، والأفعال الأمريَّة الصريحة (عليك)، (قُطع)، (صرف)، فضلًا عن الضمير المعجل (إيَّاك) الذي يُعَدُّ تحذيرًا، قال: وعليكَ باتِّباع أوامر الله تعالى، وفعل ما يرضيه، واجتناب ما يكرهه، والانزجار عن نواهيه، وقطع زمانك في تحصيل الكمالات النفسيَّة، وصرف أوقاتك في اقتناء الفضائل العلميَّة، والارتقاء عن حضيض النقصان إلى ذروة الكمال، والارتفاع إلى أوج العرفان عن مهبط الجهال، وبذل المعروف، ومساعدة الإخوان، ومقابلة المسيء بالإحسان، والمحسن بالامتنان، وإيَّاك ومصاحبة الأرذال، ومعاشرة الجهَّال؛ فإنَّها تفيد خلقًا ذميمًا، ومَلَكةً رديئة، بل عليك

(١) ابن طاوس، رضيّ الدين عليّ بن موسى الحِلِّيّ (ت٦٦٤هـ)، كشف المحجَّة لثمرة المهجة، تحقيق: الشيخ محمَّد حسُّون: ٧٧-٧٨.

بملازمة العلماء، ومجالسة الفضلاء؛ فإنَّها تفيد استعدادًا تامًّا لتحصيل الكمالات؛ وتثمر لك ملكةً راسخةً لاستنباط المجهولات[1].

في حين نجد أنَّ الفلاسفة قد التزموا قالب الإقناع العقلانيّ من دون أن يراهنوا على أسلوب الإثارة والتأجيج العاطفيّ، فراحوا يتحدَّثون إلى الناس بلغة استدلاليَّة وفلسفيَّة جافَّة، قد تورث في بعض الأحيان الملل والسأم لدى الناس، فالفلاسفة وإن كان خطابهم موجَّهًا بالأصل إلى عموم الناس، إلَّا أنَّهم وبسبب إصرارهم على التمسُّك بقوالب وسياقات متعسِّرة الفهم، ومصطلحات علميَّة معقَّدة، عَجِزوا عن التواصُل مع غير النُّخب والعلماء، وهذا ما لمحناه في كتاب مسكويه (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق)، إذ اتَّكأ على التقنيَّة الخطابيَّة والجدليَّة، عازفًا على المرويَّات والنقل الأثريّ، إذ لم نجد لها مساحة في كتابه، فضلًا عن ذلك نلمح اللغة السهلة التي لا تخلو من تعقيد واختلاف، إذ كانت لغة حاشدة بالمصطلحات الفلسفيَّة التي تتطلَّب بيانًا[2].

فمثلًا في وقوفه على مبحث العدل، يرى مسكويه أنَّ العدل توسَّط بين أطراف، وهيأة يقتدر بها على ردِّ الزائد والناقص إليه، لهذا صار العدل أتمّ الفضائل وأشبه بالوحدة. إنَّ كلَّ زيادة أو نقصان عند مسكويه يفسدان الشيء، على أنَّ الاعتدال هو الذي يحفظ لذلك الشيء وحدته، ويزيل رذيلة التفاوت والاضطراب. إن الوحدة، برأي مسكويه، هي التي لها الشرف الأعلى، والرتبة القصوى. إنَّ كلَّ كثرة لا ينظمها معنى توحيدها، لا قوام بها ولاثبات، الزيادة والنقصان، والكثرة والقلَّة، وهي التي تفسد الأشياء، إذا لم يكن بينها تناسب يحفظ عليها الاعتدال بوجهٍ ما، والاعتدال الذي

(١) ينظر: الوصية: ٤٢٣.

(٢) ينظر: المدارس الأخلاقيَّة في الفكر الإسلاميّ: ٧١.

يرد عليها ظلُّ الوحدة ومعناها، هو الذي يلبسها الوحدة، ويزيل عنها الرذيلة الكثيرة ورذيلة النقصان، وأنَّ الاعتدال يمدُّ ويُضبَط بالمساواة، التي هي حليفة الوحدة في جميع الكثرات[1].

وهذه اللغة السهلة نجدها عند المدرسة العرفانيَّة، فإنَّ بحوث العرفان الأخلاقيّ ومضامينها تقبل التبسيط، ومن ثمَّ يمكن عرضها في المنتديات العامَّة، وعلى الطبقة المتوسطة في الناس، وهذا ما نلمحه في كتاب (الفتوحات المكِّيَّة) لابن عربيّ، إذ نبصر البساطة في التفسير، وخلوّه من التعقيد، والإلمام بالمفردات الغنيَّة والتخصُّصيَّة في مجال العرفان، وتميَّزت لغة ابن عربيّ بالبساطة والوضوح والسهولة، إذ ابتعد عن الرمز والإثارة والإيماء، فكان يفضِّل لغة الحسِّ والمثل والقصَّة، على الإحكام النظريَّة والعمق، وهذا الأمر واضح؛ لأنَّ العرفان هدفه الإمتاع وتقريب الأفكار والتفهيم، والمقصود عنده المعنى والفكرة، قال ابن عربي في مقدِّمته: «الأخلاق على ثلاثة أنواع: خلق متعدٍّ؛ وخلق غير متعدٍّ؛ وخلق مشترك؛ فالمتعدِّي على قسمَين: متعدٍّ بمنفعة كالوجود والفتوَّة، ومتعدٍّ بدفع مضرَّة كالعفو والصفح واحتمال الأذى مع القدرة على الجزاء والتمكُّن منه، وغير المتعدِّي كالورع والزُّهد والتوكُّل؛ وأمَّا المشترك كالصبر على الأذى من الخلق، وبسط الوجه»[2].

إذ نبصر اللغةَ السهلةَ، والتقسيماتِ التعليميّةَ القائمةَ على سرد العناصر والبيانات بأسلوبٍ سَهلٍ ومبسَّطٍ.

وقال في معرفة مقام الصدق وأسراره: «الصدقُ شدٌّ وصلابةٌ في الدين، والغيرة لله من أحواله، ولصاحبه المتحقِّق به الفعل بالمهمَّة وهو قوَّة الإيمان (...) فلا يكون

(١) ينظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: ١٠٨، و فلسفة الأخلاق بين أرسطو ومسكويه: ٩٣.
(٢) الفتوحات المكِّيَّة: ١/ ٥٢.

الصـادق صادقًا ما لم يقـم الصدق به، فإذا قام به كان له ذوقًـا، وكان كونه صادقًا حال صدقه، وهو قد تسمَّى بالصادق»[1].

فلا يخفى أنَّ اللغة الرمزيَّة الجميلة، والأسـلوب الرائع مع الإثباتات العرفانيَّة التي تتطلَّب خيالًا وَسِيْعًا لاستحضار الدلالات.

مـن الناحيـة الأدبيَّة والبيانيَّة، ربَّما تسـتهوي هـذه الكتب بعـض المتديِّنين بلحاظ اتِّجاهاتهم المعرفيَّة، إلَّا أنَّها، عمومًا، لا ترقى إلى مستوى جاذبيَّة مصادر الاتِّجاه التوفيقيّ، ومصادر الاتِّجاه العرفانيّ.

ويبدو أنَّ السـلوك عنـد العرفانيِّين من جميل الترقيات النفسـيَّة، أو بعبارة هو هيأة نفسـيَّة جوانيَّـة للترقِّي والتكامـل، والانتقال في الأحـوال والمقامات؛ لكـن هذه الهيأة لا تظهر ولا تتبدَّى إلَّا بطقسٍ شـعائريّ، ونطلق العبادة على مجموع الهيأتَين، ولا عبادة بهـذا المعنـى من دون سـلوك، إذا لا تقع العبـادة حينها إلَّا شـكلًا خاويًـا وبلا معنى، وتصبح مجرَّد حركات يطلق عليها عنوان العبادة، تجاوزًا وتسـامحًا، فالسـلوك الروحيّ هو مضمون العبادة، والهيأة القائمة في حركات الأعضاء شكلها ومظهرها[2].

(١) المصدر نفسه: ٢/ ٢٥٩.

(٢) ينظر: العرفان الشيعي(دراسة في الحياة الروحيّة والفكريّة لحيدر الآملي): ٥٣٢.

## المبحث الثاني

### معالم الخطاب الأخلاقيّ بين مدرسة الحِلَّة والمدرسة الفلسفيَّة والعرفانيَّة

في هذا المبحث سيكون الحديث عن أهمِّ المعالم التي تُستَنتج من الخطاب الأخلاقيّ من المدارس العلميَّة الأخلاقيَّة، سواء أكانت مدرسة الحِلَّة الأخلاقيَّة الأثريَّة، أم المدرسة الأخلاقيَّة الفلسفيَّة، أم المدرسة الأخلاقيَّة العرفانيَّة.

وانعقدَ هذا المبحثُ في ثلاثة مطالبَ، الأوَّل: المضامين والمصطلحات الأخلاقيَّة، والثاني: محوريَّة العقل في المدرسة الأخلاقيَّة، والثالث: الشاهد القرآنيّ عند علماء الحِلَّة الأخلاقيِّين، والمدرستين الفلسفيَّة والعرفانيَّة.

#### المطلب الأوَّل: المفاهيم والمصطلحات الأخلاقيَّة

من اللافت للنظر أنَّ المصطلحاتِ والمفاهيمَ الأخلاقيَّة في مدرسة الحِلَّة الأخلاقيَّة، الإرشاديَّة، والمدرسَتَين الفلسفيَّة والعرفانيَّة بينها فرقٌ شاسع من جهة السهولة والصعوبة، والفهم وعدم الفهم، إذ إنَّ المصطلحات الأخلاقيَّة الأثريَّة عند علماء الحِلَّة كان لها الحضور الفاعل بين أوساط الناس، إذ إنَّ أغلبها مصطلحات مألوفة وشائعة بين الناس، بخلاف المصطلحات الفلسفيَّة التي لا يفهمها إلَّا المتخصِّصون، ومَنْ لهم اطِّلاع بالفلسفة واتِّجاهاتها، الحال نفسه مع المفردات والمصطلحات العرفانيَّة، ثمَّة أشخاص قلائل بمقدورهم التواصُل مع المفردات والمصطلحات

العرفانيَّة، والانفتاح عليها، تجهَّزوا بالكشف والشهود، ولم يضمروا على العقل، مع ذلك فإنَّ اللغة العرفانيَّة هي الأكثر قربًا، إذا ما قيست باللغة الفلسفيَّة في الخطاب الأخلاقيّ[1].

وأوَّل ما يلفتنا من هذه التصوُّرات والأفكار التي لها مسيس بالمفاهيم والمصطلحات الأخلاقيَّة، ما نرصده في المدرسة الأخلاقيَّة الحِلِّيَّة الأثريَّة؛ إذ نَلمحُ أنَّ الشيخ ورَّامًا، مثلًا، أخذ يعالج مسلك الأخلاق، واحدة تلو الأخرى، بحسب المفاهيم والمعايير التي تُعالج بها عند علماء الأخلاق المحدثين، متَّخذًا من القرآن الكريم، والأحاديث النبويَّة الشريفة، وأقوال الأئمَّة عليهم السلام، والصحابة، والموروث التاريخيّ الأخلاقيّ بوصلة حقيقيَّة.

ويبدو أنَّ هذه المصطلحات والمفاهيم الأخلاقيَّة واضحةٌ للعيان، سَهْلةُ المطلب، لا يحتاجُ في تكشيفها وبيانها إلى إعمال ذهن، وتشغيل فكر، ولا يُسْتَنجدُ في استجلاء دَلالاتها بالمعجمات اللغويَّة، والقواميس الدلاليَّة.

في حين أنَّنا عندما نقف على الخطاباتِ الأخلاقيَّةِ الفلسفيَّة نجد انسراب المفاهيم والمصطلحات الأخلاقيَّة فيها، ولا يخفى أنَّ سبب هذا التماهي هو أنَّ الفلاسفة يتَّبعون المنهج العقليّ الذي يقوم على (التعريف، والتقسيم، والبرهنة، والاعتراضات، والإجابات)، وهي كلُّها أمورٌ متلاحمة دون جدال، وهذا ما نبصره في الخطابات الأخلاقيَّة

ولـمَّا كانت الفلسفةُ الأخلاقيَّةُ تتعرَّض للعناصر الأساسيَّة من نحو أصل الإنسان، ومصيره، وأصل خلقه، ومصيره، ومبادئ السبب والغاية، وأفكار عن النفس، وعن الله تعالى، وعلى فلسفة الأخلاق والقيم الأخلاقيَّة وغيرها، كان لا بُدَّ أنْ تبتكر مفاهيم

(١) ينظر: المدارس الأخلاقيَّة في الفكر الإسلاميّ: ٧٢.

ومصطلحات أخلاقيَّة تنسب إلى بيئتها وحدها[1].

ولا جَرَمَ أنَّ العرفان نبتَ أصلًا في دائرة الأخلاق، وفي ربوع الحياة الزهديَّة لأتقياء الصدر الأوَّل للإسلام، وتبلورت مفاهيمه وطرائق السلوك فيه وأنماط التربية الروحيَّة، وصقل النفس في سباق التجلِّي العلميّ للفضيلة الأخلاقيَّة، ومفاهيم القيم التي رسَّخها الإسلام في عقول أتباعه، فلا غرو إذن أن يكون الطابعُ الأخلاقيُّ هو الغالب في كلِّ تنظيرٍ صوفيّ، والحاضر في كلِّ تأمُّلٍ روحيّ وممارسة، ولقد عني المتصوِّفة جدًّا بشؤون النفس وأحوالها ومقاماتها ومنازل ترقِّيها، واستغرقوا في تأمُّل أغراضها وأدوائها، واشتغلوا بتحديد آفاتها وعللها، وأعراض فسادها وانحلالها، ومن ثمَّ بالبحث عن علاجها وأسباب شفائها وصلاحها وارتفاعها وترقِّيها، ولقد كان الجهد المبذول هنا من الصوفيّ كبيرًا، وهو لا شكَّ جهد مستوعب شامل، بمعنى أنَّه لم تخلُ مرحلة من مراحل التصوُّف من تأكيد على مركزيَّة النظر في النفس، وعلى ضرورة أن ينطلق كلُّ تأمُّل صوفيّ ممَّا هو داخليّ، جوَّانيّ، ومنبعث من القلب، ومرتبط بما هو قيمة روحيَّة وفضيلة[2].

وممَّا يلفت النظر أنَّ العرفانيِّين، وإن تأثَّروا لاحقًا بطرائق الزهد التي كانت شائعة عند شعوب أخرى، واقتبسوا عن ثقافات شتَّى في بناء رؤيتهم التأمليَّة للنفس وللأخلاق أيضًا، في النظر والممارسة معًا، لكنَّهم كانوا أقلَّ تأثُّرًا من ذلك في صياغة المصطلح الأخلاقيّ وبلورته، لم ينساقوا دائمًا وراء ما هو دخيل، كما فعل فلاسفة الأخلاق مثلًا، كالتوحيديّ، ومسكويه، والغزَّاليّ، والطوسيّ، والدَّوانيّ، والكاشانيّ، وغيرهم، ممَّن عالج المصطلح الأخلاقيّ في ضوء تراث اليونان وتداعياته[3].

(١) ينظر: دستور الأخلاق في القرآن: ٩٢.
(٢) ينظر: العرفان الشيعيّ (دراسة في الحياة الروحيَّة والفكريَّة لحيدر الآمليّ): ٤٩٥.
(٣) المصدر نفسه: ٤٩٥-٤٩٦.

وكذلك نخلص إلى أنَّ العرفانيِّين لم يتدخَّلوا كثيرًا في المصطلح، ولا في طريق العرض، ولا المعاني والمضامين، ولا في المقاصد والأغراض، وهو شبيه إلى حدٍّ كبير من سبعة من المصنِّفين، ولاسيما في المدرسة الفلسفيَّة، كمسكويه والغزَّاليّ، ولم يكن همُّهم تتبُّع التطوُّر الدلاليّ للمفردات، وما حملته من معانٍ حافَّةٍ وإيحاءات[1].

أمَّا في ما يرتبط بدائرة الموضوعات والمصطلحات والعناوين الأخلاقيَّة التي يعنى بها هذا الاتِّجاه، فنلاحظ أنَّه في ما يتعلَّق بالأسرة والمجتمع، تغطِّي كتب ومصادر هذه المدرسة موضوعات وعنوانات متعدِّدة ومتنوِّعة، قياسًا بمصادر المدرسة العرفانيَّة، وأنَّ دائرة اهتمامها، أي مصادر الأخلاق الأثريَّة، في مجال الأخلاق العبوديَّة والأخلاق الاجتماعيَّة، تتَّسع لتشمل مواضيع وعناوين أكثر، قياسًا بمصادر المدرسة الفلسفيَّة، فبالنسبة الموجودة هي نسبة العموم الخصوص من وجه؛ وذلك لأنَّ بعض العنوانات المتعلِّقة بالأخلاق الفرديَّة، أو بالأخلاق الاجتماعيَّة، أو بأخلاق الأسرة، لم ترد بالكتب الروائيَّة، وفي المقابل فإنَّ جملة من العنوانات كانت محطَّ اهتمام الروايات، لم يرد لها ذِكر في مصادر الأخلاق التوفيقيَّة.

من الملاحَظ أنَّ محدِّثي الشيعة قد اهتمُّوا في موسوعاتهم الروائيَّة، بالمفاهيم والعنوانات الأخلاقيَّة، فخصَّصوا لها مجالًا أكثر، هذا في حين كرَّس أهل السنَّة جهودهم لتدوين كتب مستقلَّة في الأخلاق الأثريَّة أكثر جامعيَّة، وأكثر تفصيلا[2].

وما ذهب إليه الشيخ ورَّام في مواضعَ كثيرة، منها في إقحام المسائل والقصص، وقد أقحم المصنِّف بعض المسائل والقصص التي ترتبط بولاية أهل البيت عليهم السلام كدليل

(١) العرفان الشيعيّ (دراسة في الحياة الروحيَّة والفكريَّة لحيدر الآمليّ): ٥٢٨.
(٢) ينظر: المدارس الأخلاقيَّة في الفكر الإسلاميّ: ٧٩-٨٠.

عـلى اعتقـاده بوجود ارتباط وثيق بين مسـألة الولاية والقضايـا المصيريَّة، مثل: عذاب القـبر، ودخول النار والجنَّـة، وكثير من الأقوال والحكم والمواعـظ والعِبر قد نقلها من منبعهـا الأصل، وهو الرسـول صلى الله عليه وآله، ذاكـرًا بعضها عن الرسـول أو الأئمَّة صلوات الله عليهم أجمعين، والبعض الآخر لم يذكر، وفي المقابل قد نقل الكثير من أقوال الأصحاب والتابعـين والحكـماء والزهـاد والعلـماء والأدباء مـن كتب العامَّـة والخاصَّـة، ولكنَّها مسـتوحاة من كلامهم صلوات الله عليهم، وقد غُيِّرت فيها بعض الكلمات، أو بل هي نفسـها، ولكنَّها قد نسـبت إلى غيرهم عليهم السلام، وما فعله هذا هو سعي منه حتذَى يقرأ كتابه كلُّ مسلم[1].

ونرى أن الشـيخ ورَّامًا في كثير من المواضع التي يذكرها، لا يصرِّح بذِكر الأعلام، وهو يكتفي بلفظ (بعضهم، البعض)، قال: «ويمرَّ عليك في هذا الكتاب كثيرًا من تلك العبـارات (بعضهم، البعض)، فإنَّنا إن حصلنا على مصـدر لها، أشرنا إلى قائلها، وإن لم نحصل على مصدر لها، فيمكن القول بأن هذا الكلام (البعض)، يقصد به نفسه، أو أحد أقرانه الذين معه، فإنَّنا نرى كثيرًا من علماء، وخصوصًا في المواعظ والأخلاق والشـعر، يقولون كلامًا لهم دون أن ينسبوه.

هذا وأحيانًا نجد لها مصدرًا مقاربًا له أو نحوه بعضه عن الرسول أو الإمام صلوات الله عليهما، وهذا يعني أنَّ القائل قد أسـتخلص من كلامهم عليهم السلام ما رآه مناسـبًا للكلام، وسَـبْكه بصورة أخرى كنصيحة للآخرين، كما نقول في بعض الأحيان: ما مضمونه أو مضمونها، عند الإشارة إلى الآية، أو الحديث، أو الواقعة.

وسـترى كثيرًا مـن الأحاديث والكلام المنقول عن النبـيِّ وآله صلوات الله عليهم أجمعين لم نجد له مصدرًا، حتَّى الخطب المنسـوبة لأمير المؤمنين عليه السلام لم نجد لها مصدرًا أو

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ١/ ٣٦.

ما هو مقارب لها، فلعلَّ هذه كلُّها من مختصَّات هذا الكتاب[١].

تثمر مدرسة الحِلَّة الأخلاقيَّة المدرسة الأثريَّة، فالتراث الذي وصلنا في ما يتعلَّق بالأخلاق الأثريَّة يفتقر إلى العناصر والملاكات التي ينبغي أن تتوافر، ويستمرُّ عليها بالمدرسة الأخلاقيَّة[٢].

في حين نجد اهتمام المدرسة الفلسفيَّة (بالحكمة)، أكثر من الفضائل الأخرى، نظير (العفَّة، والشجاعة، والعدالة)، ومن ثمَّ أدَّى إلى تولِّي هذه المدرسة اهتمامًا أكبر بالأخلاق الفرديَّة، قياسًا بالأخلاق الاجتماعيَّة، فمن الناحية الكميَّة نجد أنَّ الأخلاق الفرديَّة قد شغلت أكثر من نصف حجم الكتب الأخلاقيَّة المنتسبة إلى هذه المدرسة، والسرُّ في ذلك يعود إلى التأكُّد والاهتمام الزائد الذي توليه هذه المدرسة لتهذيب القوَّة الناطقة، كما نجد أنَّ العنوانات الأخلاقيَّة المعنيَّة بشؤون الأسرة يقلُّ نصيبها في القسم المختصِّ بالأخلاق من الكتب الفلسفيَّة[٣].

ومن هنا فإنَّ كثيرًا من كتب الأخلاق الفلسفيَّة يفتقد بالكامل إلى العنوانات المختلفة، ولاسيما المرتبطة بـ(أخلاق العبوديَّة)، ويغفلون عن ذكر مجموعة من الفضائل التي نذكرها في بحث أخلاق العبودية، ولها انعكاساتها في الأدبيَّات الدينيَّة، وهي التوكُّل، والخوف، والرجاء، والتسليم، وغيرها من الفضائل. أمَّا فيما يتعلَّق بالأخلاق الأثريَّة (النقليَّة)، فيمكن القول، ولو بشيء من الفضائل والتسامح، إنَّ ثمَّة فروضًا متسالم عليها مصنِّفو هذا الاتِّجاه في ما بينهم، وإن لم يلتفتوا إليه بنحوٍ تفصيليّ، وهو (ارتباط الأخلاق بالوحي)، وبعبارة موجزة، يمكن القول: إنَّ القاسم المشترك، بين

(١) ينظر: تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ١/ ٣٨.
(٢) ينظر: المدارس الأخلاقيَّة في الفكر الإسلاميّ: ٦٥.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٦٦.

هذا النوع من التصنيفات إنَّما هو الاعتقاد بأنَّ الوحي هو المصدر الوحيد، أو قلُ المصدر الأهـم، للأخلاق، وأمَّا محـاولات التدعيم والبرهنـة على القضايـا الأخلاقيَّة بمناهج أخرى، من قبيل المنهج العقليّ، أو منهج الكشف والشهود العرفانيّ، فهي محاولات غير مجدية، أو غير كافية على الأقل[1].

ويمكن القول: إنَّ مدرسة الأخلاق الأثريَّة أو النظام الأخلاقيّ المُبْتَني على تعاليم الوحي، لا يمكن تصوُّرها إلَّا بعد أن يصار إلى اسـتخراج الأسس والغايات والقواعد العامَّة للأخلاق وتحريرها من المصادر الرئيسـة للدين، الآيـات والروايات؛ ليُصار إلى رفع التعارض بالرجوع إلى تلك الأسـس والقواعد، والتحاكم إليها على أساس المنهج السـائد في البحـوث النقليَّة، وفي هذا المجـال، لا بدَّ من تحديد آليَّـة مهمَّتها حلُّ موارد التزاحم، وتقييم القضايا الأخلاقيَّة والبت بها[2].

## المطلب الثاني: محوريَّة العقل عند المدرسة الأخلاقيَّة الفلسفيَّة

إذا كُنَّا نقصدُ بالفلسـفة مجموعة من الأفكار نابعة من العقل، وتسلسل وفق منهج معيَّن، إذ يكون الغرض من تكوين نسـق من المبادئ؛ من أجل تفسير طائفة من ظواهر الطبيعة أو الكون، فعندما نتأمَّل في النصِّ القرآنيّ، نجد السمات الواجبة وطبيعة السلطة التي ينبعث منها الالتزام أو التكليف، وعن درجة المسؤوليَّة الإنسانيَّة وشروطها، وعن طبيعـة الجُهد المطلوب للعمل الأخلاقيّ، والمَبدأ الأسـمى الذي يجـب أن يحفِّز الإرادة للعمل[3]. والعقل والوحي مظهران للقيم الأخلاقيَّة التي تُعدُّ المصدر الحقيقيّ للإلتزام الخلقيّ.

(١) ينظر: المدارس الأخلاقيَّة في الفكر الإسلاميّ: ٧٥-٧٦.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٧٧.
(٣) ينظر: دستور الأخلاق في القرآن (دراسة مقارنة للأخلاق النظريَّة في القرآن): ٣٥.

إنَّ العقلَ آلةٌ أخلاقيَّة، منقاد بالطبع للقوانين الأخلاقيَّة الأبديَّة، وهو يعطيها صدر مجلس وجدانه، ومن هنا فإنَّ كلَّ قضيَّة أخلاقيَّة لها وجودها بالحمل الشائع في منزلة العقل الأخلاقيّ، وهكذا يبدو أنَّ العقل أخلاقيّ بالذات، ولا يصل إلى الأخلاق إلَّا بعد التأمُّل والبحث أو الاكتساب، ومن ثمَّ فإنَّ الإنسان أخلاقيّ، يتلمَّس أثر قوانين الأخلاق في مرحلة الوجدان الأولى اللازم[1].

وقد أبدع محمَّد باقر داماد (ت١٠٤١هـ) في بيان أثر العقل في إدراك المعقولات والأسرار، قال: «فلا جرم.. لا حشمة، ولا جاه للإنسان أعظم من إدراك المعقول الجنَّة المزيَّنة والمحلَّاة بأنواع حليِّها ونعيمها وزنجبيلها وسلسبيلها إدراك المعقولات، ودركات جهنَّم بأغلالها وسلاسلها وحميمها وزقُّومها متابعة الأشغال الجسمانيَّة، ومعانقة القوى الدائرة الحسَّانيَّة»[2].

أمَّا (العقل) في المعنى الاصطلاحيّ؛ فقد اختلفت وتضاربت أو تداخلت التعاريف حوله، وإنَّها تلتقي جميعًا أمام نقطة مشتركة، هي عَدُّ العقل العنصر الأساس في معرفة البشريَّة، وهو القاعدة الأولى التي ينطلق منها الإنسان متأمَّلًا وناظرًا ومستنبطًا ومدركًا لحقائق الأشياء، وهو الوسيلة الوحيدة للاهتداء إلى الصواب، ولكن بشرط أن يعمل بعيدًا عن المؤثِّرات السلبيَّة، أمَّا الهدف من فلسفة التربيَّة العقليَّة، فهو تقوية حجَّة العقل، وتنمية الخيال، وتنمية الحكم في النفوس، ومدارك الانتباه، واكتساب معارف جديدة وإتقانها، للإفادة منها في تهذيب النفس الإنسانيَّة، وكسب جوامع النفس الأمَّارة؛ لإعادة الفرد للحياة الإيمانيَّة[3].

(١) ينظر: الدين والعلم مصارحات دِينَنَةُ العلم: ٦٢.
(٢) الصراط المستقيم في ربط الحادث بالقديم: ٨.
(٣) ينظر: تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات: ١٧٦.

وفطن ابن طاوس إلى أنَّ العقل هو البوصلة الحقيقيَّة للمعارف، قال: أما تعلم أنَّ العقل الذي هو النور الكاشف عن المعارف، ما هو من كسبك، ولا من قدرتك، وأنَّ الآثار التي تنظر إليها ما هي من نظرتك، وأنَّ العين التي تنظر بها ما هي من خلقك.. ويرى أيضًا أنَّ المعرفة بالعقل لازمة، وهو أصل العلوم كلِّها، وبه حصلت المعرفة، بالفرق بين الحقِّ والباطل[1].

إنَّ نظام الأخلاق الفلسفيّ من المنظور المعرفيّ، يقوم على أساس محوريَّة العقل، وإنَّ الإنسان كلُّه معرفة، وينظر إلى المعرفة العقليَّة على أنَّها دورة المعرفة الإنسانيَّة، فالإدراك من وجهة نظر الفيلسوف عبارة عن الفهم العقلانيّ.

ومن هنا فإنَّ المدرسة الأخلاقيَّة الفلسفيَّة في ضوئها يصار إلى برهنة النظريَّات والتعاليم الأخلاقيَّة على أساس البرهان العقليّ، إذ يسعى الفيلسوف إلى تدوين منظومة قِيَميَّة، وذلك بتأكيد محوريَّة العقل، فالمحور والمرتكز الذي يعتمده الفيلسوف في إثبات التعاليم والنظريَّات الأخلاقيَّة، هو التحليل العقليّ والنفسيّ، إلى جانب الاهتمام بالمناشئ والآثار المترتِّبة على العمل، ولو نظرنا إلى التراث الفلسفيّ الموجود، لرأينا أنَّه يشتمل على كمٍّ كبيرٍ من الأدلَّة العقليَّة والسيرة العقلائيَّة، وأقوال الحكماء، والحقائق المرتبطة بالإنسان، وتحليل مسائل النفس وقضاياها، والتجارب الإنسانيّة، والمسلَّمات الفلسفيَّة، في حين نجد أنَّ اعتمادها على الآيات والروايات محدودة[2].

ولا بُدَّ من القول: إنَّ أفضل ما يدلُّ على التشابه بين المادَّة القرآنيَّة بخاصته، وبين الفلسفة أنَّ القرآن حينما يعرض النظريَّة عن عمق، وعن الفضيلة، لا يكتفي دائمًا بأن

(١) سعد السعود وأنيس النفوس: ١٩٠.
(٢) ينظر: المدارس الأخلاقيَّة في الفكر الإسلاميّ: ٦٩.

يذكِّر بها العقل، ويثير أمرها باستمرار أمام التفكُّر والتأمُّل، وإنَّما يتولَّى هو بنفسه التدليل على ما يقدِّم[1]

على حين نجد في المدرسة العرفانيَّة، أنَّ الأخلاق العرفانيَّة الأصيلة المحور الرئيس لصحَّة القضايا الأخلاقيَّة والشهود،عليه فالأصل من أجل تصديق ما يقوله المتصوِّفة السلوك العمليّ المؤدِّي إلى الإدراك الشهوديّ، وقد شدَّد العرفانيُّون في مفتتح أقوالهم على الأخلاق وحسن الخلق، وما يترتَّب من سوء النتائج والعواقب إذا ما ارتكب السوء من الأخلاق، فهو يبتعد عن المراتب والمراقي التي خصَّها الله بها، فينحطُّ ويدعو إلى درجات النقص الروحيّ، وسلالم التدنيّ النفسيّ، من هنا فإنَّهم يوجبون التحلِّي بأخلاق العظيم ﷻ[2]؛ ففيها جميع الكمالات والأخلاق العالمية التي عَلَت وسمت على أخلاق البشر أجمع، ولاسيما أخلاق الرسل والأنبياء السابقين؛ وباستشراف قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، إذ يرى الفخر الرازيّ أنَّ أخلاق محمَّدً ﷺ سامت وعَلَت على أخلاق الأنبياء السابقين بلحاظ، وذكر طرف الاستعلاء(لعلى)[3].

والتخلُّق بأخلاق الله ﷻ لا يتمُّ برأي الآمليّ إلَّا بالرياضة الحقيقيَّة، مبنيَّة على العلم الحقيقيّ، والعمل المطابق له، وبتصفية النفس عن الرذائل كلِّها، ولاسيما من أصولها السبعة المعروفة عند أهل الله ﷻ، وهي: الكبر، والعجب، والبخل، والحس،

(١) ينظر: درَّاز، د. محمَّد عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن (دراسة مقارنة للأخلاق النظريَّة في القرآن): ٩١.

(٢) ينظر: الآمليّ، حيدر بن عليّ بن حيدر، أسرار الشريعة وأطوار الطريقة وأنوار الحقيقة، تحقيق: محمَّد خواجوي: ٥٠٠.

(٣) ينظر: الرازي، فخر الدين، أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن (ت٦٠٦هـ)، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): ١٥/ ٤٣٥.

والحرص، والشهوة، والغضب، ويتجلَّى بمحاسن الأخلاق كلِّها، ولاسيما أصولها التي هي: العلم، والحكمة، والشجاعة، والتواضع، والجود، والعفَّة، ثمَّ بلوغ حريَّة العدالة التي هي نهاية مراتب الكمال في السلوك إلى الله بالنسبة إلى الإنسان(١).

## المطلب الثالث: الشاهد القرآنيّ عند علماء الحِلَّة الأخلاقيِّين والمدرستين الفلسفيَّة والأخلاقيَّة

لا جَرَمَ أنَّ القُرْآن الكريم يصوِّر الحياة الأخلاقيَّة برمَّتها، فهو المنهج والنظام والسبيل للاهتداء والسير نحو الفلاح والصلاح، إذ تهيمن على الكتاب العظيم من أوَّله إلى آخره فكرة رئيسة، وهي أن الحاسَّة الخُلقيَّة انبعاث داخليّ فطريّ، وأنَّ القانون الأخلاقيّ قَدْ طُبع في نفس الإنسانيَّة منذ نشأتها: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ (الشمس: ٧-٨)(٢).

ولا بُدَّ من القول: إنَّ الآيات القرآنيَّة التي تجسِّد الأدلَّة والحجج في الخطاب الأخلاقيّ، هي تجسيدٌ للأخلاق القرآنيَّة التي رفعت لنا البناء المقدَّس، وجمَّلته، حين ضمَّت إليه فصولًا كاملة الجدَّة رائعة التقديم فتمَّت إلى الأبد العمل الأخلاقيّ(٣).

وقد أفادت المدرسة العرفانيَّة من العقل والنقل في بيان دعواها، ويجدر القول إنَّ المصادر العرفانيَّة عادةً ما تكون مشحونة بالأدلَّة القرآنيَّة والروائيَّة(٤).

(١) ينظر: مسكويه، أبو عليّ أحمد بن محمَّد بن يعقوب (ت٣٢٤هـ)، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق: قسطنطين زريق: ٣٣-٣٤، وينظر: الآمليّ حيدر بن عليّ بن حيدر، أسرار الشريعة وأطوار الطريقة وأنوار الحقيقة، تحقيق: محمَّد خواجوي: ٥٠١-٥٠٢.
(٢) ينظر: دستور الأخلاق في القرآن (دراسة مقارنة للأخلاق النظريَّة في القرآن): ٣٦.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٨٥.
(٤) ينظر: المدارس الأخلاقيَّة في الفكر الإسلاميّ: ٧٠.

أمَّا المدرسة الأخلاقيَّة الإرشاديَّة الوعظيَّة، فتضمر على نسبة العقل والقلب إلى غرس الفضائل في نفس الإنسان في ظلِّ تراتيب الفضائل، وغرس القيم الأخلاقيَّة في ظلِّ معاينة الاستعمال القرآنيّ والشواهد التداوليَّة.

في حين نجد أنَّ المدرسة الحِلِّيَّة الأخلاقيَّة الأثريَّة قد أفادت من النقل والعقل في دعواهم، فغالبًا ما تكون المدوَّنات الأخلاقيَّة الأثريَّة مشحونة بالأدلَّة القرآنيَّة والروائيَّة، ولاسيما النبيّ صلى الله عليه وآله، والأئمَّة أهل البيت عليهم السلام، ومرويَّات الصحابة المخلصين، إذ يلاحَظ في كتب الأخلاق الفلسفيَّة ومصادرها أنَّ اهتمامات بالآيات والروايات قليل، إذ نجد أنَّ بعضًا ممَّن ألَّف في هذا المجال، لم يحرص على ذكر المستندات والمؤيِّدات الشرعيَّة لما يطرح من الوصايا الأخلاقيَّة، ومن هنا يطرح هذا التساؤل: هل تمثِّل الأخلاق الفلسفيَّة الاتِّجاه الإسلاميّ للأخلاق؟ وهل إنَّها من مصاديق النظم والسياقات المقبولة في إطار منهج الأخلاق الإسلاميَّة ؟ لا شكَّ في أن الإجابة عن هذا التساؤل، نعم، يبتني أساسًا على نقاط لا بدَّ من افتراضها والتسالم عليها أوَّلًا، من قبيل أن تكون هذه المنظومة في جميع الأصول والفروع متطابقة مع عناصر الأخلاق الإسلاميَّة ومقوِّماتها، وأن لا يكون هناك تباين على صعيد جوهر الخطاب الأخلاقيّ والأساليب التربويَّة، بل نفترض أنَّ ثمَّة انسجامًا وتماهيًا بين الاثنين، كما علينا أن نفترض سلفًا أنَّ عملية تنسيب مدرسة أو مذهب فكريّ ما إلى الدين تقوم على أساس عنصر جوهريّ وحاسم، وهو وحدة المضمون ووجود تطابق في الخطابات، وأمَّا الاستناد إلى النصوص الدينيَّة، فليس هو الأساس في عمليَّة التنسيب هذه، في ضوء هذا التسالم والمفترضات يمكننا القول إنَّ الأخلاق الفلسفيَّة هي أيضًا أخلاق دينيَّة، على الرغم من أنَّها في مقام إبراز الخطاب المعتمد لديها وبيانه، تستفيد من قوالب وسياقات عقلانيَّة لم يستند فيها بشكلٍ صريحٍ على شواهد دينيَّة ونقليَّة.

لقد اجتهدت المدرستان العرفانيَّة والإرشاديَّة الوعظيَّة في إيجاد مواءمة مع النصِّ الإسلاميّ، قرآنًا وسنَّةً، وأخبارًا وحكمًا، متَّخذةً من ذلك شاهدًا لمعنى أو سنَّةً لدلالة أو قصد، والنصوص الأخلاقيَّة أو الوعظيَّة الإرشاديَّة في النصِّ فما له وجوه في المعاني ووصيَّة ومسيرة، ومن أجل ذلك غلب الاستشهاد بالقرآن وبالمؤثِّرات على التنظير للمصطلح والآفات ومعاينة الأبعاد المعرفيَّة التي ينطوي عليها[1].

من هنا فإنَّ القرآن الكريم يمثِّل نقاط الارتكاز، ويعتمد في آياته ومضامينه للإجابة الشافية على المسائل المطروحة، اعتمادًا مباشرًا على النصوص القرآنيَّة.

فضلًا عن ذلك نَلْمَحُ وجهة نظر في تأويل القرآن الكريم، وكيفيَّة استثماره واستغلاله أنْ نبيِّن أنَّه غير مسبوق من مَهْدَه، وطريقة عمله على هذا الموضوع، فابن عربيّ كان يَلْمَحُ في مواطن كثيرةً من عمله الكبير الذي سخَّره لبيان منهجيَّة في التعاطف مع القرآن واستكناهه، بالنفاد إلى باطنه، والاستفراق على مضامينه التي تتبدَّى للعارف خلف ستار الألفاظ والكلمات[2].

وعلى كل حال، لا يمكننا التغافل عن عناصر القوَّة الموجودة في الطرح العقلانيّ، وإهمال أثره الكبير في بيان حقائق الوحي، والدفاع عن التعاليم الدينيَّة والشرعيَّة بلغة العقل الإقناعيَّة، وأيضًا على صعيد نشر تلك التعاليم، والترويج لها[3].

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

(١) ينظر: العرفان الشيعيّ (دراسة في الحياة الروحيَّة والفكريَّة لحيدر الآمليّ): ٥٢٨.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٧٧٥.
(٣) ينظر: المدارس الأخلاقيَّة في الفكر الإسلاميّ، تعريب: عبد الحسن بهبهاني بور: ٧٤-٧٥.

## خاتمة البحث ونتائجه

نحمدُ العليَّ العظيمَ أن وصلنا إلى خاتمة البحث الموسوم بـ(معالم الخطاب الأخلاقيّ بين مدرسة الحِلَّة والمدارس الأخرى ، ولا بدَّ لكلِّ عملٍ علميٍّ من نتائجَ تعدُّ خلاصةَ ما توصَّل إليه، ومحصِّلة له ، ومن أهمِّ هذه النتائج:

**الأولى**: بدا أنَّ الخطابَ الأخلاقيَّ ومعالمه في مدرسة الحِلَّة والمدارس الأخلاقيَّة الأخرى لم يُعطَ حقّه منَ الدِّراساتِ الأكاديميَّة ؛ ممَّا أدَّى إلى غياب النَّظر المعرفيّ لهاتِه الخطابات من جهة الوقوف على معالمها وبنيتها، وتأسيسًا لذلك، فالدعوة حاضرة لدراسة هذه الخطابات، والوقوف على معالمها بيانًا وتفصيلًا .

**الثَّانية**: ظهر للباحثينِ أنَّ المنظومة الثَّقافيّة الإسلاميَّة قد توافرتْ على خطاباتٍ أخلاقيَّةٍ متعدِّدةٍ في ظلال الكتُبِ الأخلاقيَّة الَّتي توافرتْ عليها، سواءٌ في مدرسة الحِلَّة الأخلاقيَّة، أم في المدارس الأخلاقيَّة الأخرى .

**الثَّالثة**: ظهرَ للباحثينِ أنَّ الكُتُبَ الأخلاقيَّة، ولاسيَّما في مدرسة الإماميَّة، قد توافرتْ على مرويَّاتٍ كثيرةٍ عنِ النَّبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، والمتَّصلة بالقيم الأخلاقيَّة والتَّربوية ، والَّتي يمكنُ عدُّها من باب الجمع الموضوعيّ لهذه المرويَّاتِ في الموضوعاتِ الأخلاقيَّة المتعدِّدة ، والَّتي تتطالبُ دراسةً وبيانًا .

**الرَّابعة**: نلمحُ الصِّبغةَ العرفانيَّةَ في الخطابات الأخلاقيَّة عند مدرسة الحِلَّة الأخلاقيَّة، فضلًا عن ذلك، نلمح فلسفة فقه الأخلاق فيها، ودونك ما جاء في كتاب

(تنبيه الخواطر ونزهة النَّواظر) للشيخ ورَّام الحِلِّيّ، وكذلك عند السيِّد عليّ ابن طاووس الحِلِّيّ في كتابِه (كشف المحجَّة لثمرة المهجة) وغيرهما، ولا يعني أنَّ المدارس الأخرى لم تعايـنِ المنهجَ العرفانيّ، كما هو الحال في كتاب (الفتوحات المكِّيَّة) لمحيي الدِّين بن عربيّ (ت٦٣٨هـ).

**الخامسةُ**: نتلمَّسُ أنَّ المدرسةَ الأخلاقيَّةَ الحِلِّيَّة قد تأثَّرتْ بالتُّراثِ الفلسفيّ اليونانيّ، ولاسيَّما كتاب (تهذيب الأخلاق) لابن مسكويه .

**السَّادسة**: تبيَّنَ للباحثينِ أنَّ المفاهيمَ والمصطلحاتِ الأخلاقيّةَ في مدرسة الحِلَّة الأخلاقيَّة كانت واضحة المعالم بلا تعقيد، فتكاد تكون مولوفة، بخلاف المدارس الفلسفيَّة الأخرى، فنجدُ انْسرابًا للمفاهيم والمصطلحات الأخلاقيَّة ، فضلًا عن حضور التَّقسيمات والتعريفات والبراهين والاعتراضات والإجابات .

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلَّى اللهُ على محمَّدٍ وآله الطَّاهرينَ.

## المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. أسرار الشريعة وأطوار الطريقة وأنوار الحقيقة، الآمليّ، حيدر بن عليّ بن حيدر، تحقيق: محمَّد خواجوي، ط١، مؤسَّسة مطالعات وتحقيقات فرهنكي، طهران، إيران، ١٣٦٢ش.

٢. الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرَّةً بالسنة، ابن طاوس، رضيّ الدين عليّ ابن موسى بن موسى بن جعفر (ت٦٦٤هـ)، تحقيق: جواد القيُّوميّ الأصفهانيّ، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ط١، ١٤١٤هـ.

٣. تعليم التفكير ومفاهيم التطبيقات، جروان، د. فتحي عبد الرحمن، ط٣، دار الفكر، عمَّان، الأردن، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٤. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، الرازي، فخر الدين، أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن (ت٦٠٦هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ.

٥. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، الحِلِّيّ، الشيخ ورَّام بن أبي فراس (ت٦٠٥هـ)، تحقيق: باسم محمَّد مال الله، ط١، مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٣م.

٦. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مسكويه، أبو عليّ أحمد بن محمَّد بن يعقوب (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: قسطنطين زريق، منشورات الجامعة الأمريكيَّة، بيروت، ١٩٦٦م.

٧. دستور الأخلاق في القرآن، دراز، محمَّد بن عبد الله (ت١٣٧٧هـ)، ط١٠، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٨. الدين والعلم مصارحات دِينَنَةُ العلم، زراقط، محمَّد حسن، ومجموعة الباحثين، ط١، مركز الحضارة والتنمية الفكر الإسلاميّ، بيروت، ٢٠٠٨م.

٩. سعد السعود، ابن طاوس، رضيّ الدين عليّ بن موسى بن جعفر (ت٦٦٤هـ)، ط١، منشورات رضيّ الدين، مطبعة أمير، قم، إيران، ١٣٦٣هـ.

١٠. عدَّة الداعي ونجاح الساعي، الحِلِّيّ، أحمد بن فهد (ت٨٤١هـ)، ط١، مؤسَّسة الفكر الإسلاميّ، بيروت، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

١١. العرفان الشيعيّ (دراسة في الحياة الروحيَّة والفكريَّة لحيدر الآمليّ)، حمية، د. خنجر عليّ، دار الهادي، ط٢، بيروت، لبنان، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١٢. الفتوحات المكِّيَّة، ابن عربيّ، محيي الدين (ت٦٣٨هـ)، قرأه وقدَّم له: نوَّاف الجرَّاح، ط٢، دار الصادر، بيروت، لبنان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

١٣. الفخريّ في الآداب السلطانيَّة في الإسلاميَّة، الطقطقيّ، محمَّد بن عليّ بن طباطبا (ت٧٠٩هـ)، تحقيق: محمَّد عوض إبراهيم، وعليّ جارم، مطبعة المعارف، مصر، ١٩٣٨م.

١٤. فلسفة الأخلاق بين أرسطو ومسكويه، التكريتيّ، د. ناجي عبَّاس، دار دجلة، عمَّان، المملكة الأردنيَّة، ٢٠١٢م.

١٥. كشف المحجَّة لثمرة المهجة، ابن طاوس، رضيّ الدين عليّ بن موسى الحِلِّيّ، (ت٦٦٤هـ)، تحقيق: الشيخ محمَّد حسون، ط٣، مؤسَّسة بوستان كتاب، مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الإعلام الإسلاميّ، ١٤٣٠ق/ ١٣٨٨ش.

١٦. المدارس الأخلاقيَّة في الفكر الإسلاميّ، مجموعة مؤلِّفين، تعريب: عبد الحسن بهبهاني بور، مراجعة وتقويم: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلاميّ، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠١٢م.

١٧. الوصيَّة، العلَّامة الحِلِّيّ، الحسن بن يوسف بن المطهَّر (ت٧٢٦هـ)، تحقيق: حامد الطائيّ، مجلَّة تراثنا، العددان الأوَّل والثاني (٤١-٤٢)، السنة الحادية عشر، محرَّم- جمادي الآخرة، ١٤١٦هـ.